الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
المركــز الجامعي الــوادي

معهد العلوم الاجتماعية والإنسانية قسم التاريـخ

الحياة الثقافية في عهد الدولة الحفصية
(625 -982هـ/1228-1574م)

مذكـرة مكملـة لنيـل شهـادة الليسانـس في التاريـخ

إعداد الطالبات :
- أسماء شنـــوف
- سميـة بــرادعي
- عمرية طواهري

إشراف الأستاذ :
- السعيد عقبة

لجنة المناقشة : 1 – الجباري عثماني رئيســـــــاً
2 – السعيد عقبــة مشرفا ومقرراً
3 – واعـظ نويــوة مناقشـــــاً

الموسم الجامعي : 1432-1433هـ / 2011-2012م

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم اللّه الرحمن الرحيم

" لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا
مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا
لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ
عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ
مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا
بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا
أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ "

سورة البقرة، الآية :286

دعـــــــاء

اللهم لا تجعلني أصاب بالغرور إذا نجحت و لا باليأس

إذا أخفقت و ذكرني دائما بأن الإخفاق هو التجربة

التي تسبق النجاح اللهم إذا أعطيتني نجاح

فلا تأخذ تواضعي و إذا أعطيتني تواضعا

فلا تأخذ اعتزازي بكرامتي .

شكر وعرفان

قال تعالى « ولَئِن شَكَرتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ »

فالشكر لله عز وجل أولا وآخراً في توفيقه لنا في إتمام هذا البحث فما كان شيء أن يجري في ملكه إلا بمشيئته عز وجل شأنه

ولأنه من لا يشكر الناس لا يشكر الله فنحن من هنا نتقدم بأخلص عبارات الشكر والامتنان إلى الأستاذ الفاضل (السعيد عقبة) الذي كان لنا بعد الله نعم المعين والموجه

إلى الأساتذة الأفاضل عمار غرايسة، الصادق بوطارفة وسليم سعيدي على كل ما جادوه علينا بكل مجهوداتهم

إلى كل مسيري مكتبة زاوية سيدي سالم ومكتبة دار الثقافة ' لهم منا كل الاحترام والتقدير وأسمى معاني التبجيل.

كما نتقدم بجزيل الشكر إلى كل من كان سببا في وصولنا لهذا المستوى من معلمين وأساتذة خاصة أساتذتنا بقسم التاريخ جميعا .

إلى من سهر وتعب على كتابة هذه المذكرة "قاعة سوري للأنترنت و الخدمات المتعددة ".

و الأخص بالذكر " سوري محمد الساسي "

كما نشكر زملائنا الطلبة والطالبات الأفاضل الذين لم يبخلوا علينا بشيء وكل من ساهم بصدق في تقديم المساعدة لإعداد هذا البحث خاصة طلبة دفعة التاريخ 2012 .

سمية – عمرية – أسماء

ص : صفحة

ت : توفي

تق : تقديم

تح : تحقيق

ج : جزء

ط : طبعة

د ط : دون طبعة

د د ن : دون دار نشر

د ب ن : دون بلد نشر

د س ن : دون سنة نشر

د ج : دون جزء

إ : إعداد

شر : شرح

تع : تعليق

تعر: تعريب

تر : ترجمة

ضب : ضبط

م : ميلادي

هـ : هجري

مج : مجلد

جم : جمع

تص : تصحيح

مقدمة

شهدت دول المغرب الإسلامي ازدهارا ملفتا خلال فترات العصور الوسطى نتيجة التطور الكبير الذي عرفته في جميع المجالات.

وكانت الدولة الحفصـــية نموذجا مميزا لذلك بفـــضل نهـــضتها العلميـــة والفكريـــة والثقافية، ما جعلها تحتل مركز الريادة بين دوله، خلال القرن السابع هجري الثالث عشر ميلادي.

دوافع اختيار الموضوع:

وسبب اختيارنا للمـــوضوع هو أن معظم الدراسات الجامعيـــة حـــول تـــاريخ المغـــرب الإسلامي، تصب جل اهتمامها في الجوانب السياسية والعسكرية والاقتصادية، وكثير مـــا أهملت الجانب الثقافي والاجتماعي، ولهذا ارتأينا تسليط جانب من الضوء على مظـــاهر الإشعاع الثقافي والحضاري في الدولة الحفصية وإشباع فـــضولنا فـــي كـــشف وإزالـــة الغموض عن الحياة العلمية والفنية فيها.

طرح الإشكالية:

من خلال البحث والدراسة في هذا الموضوع، كان سعينا وهـــدفنا الإجابـــة علـــى الإشكالية الأساسية التي كانت باباً نتطرق فيه لهذا الموضوع، وكانت كالأتي:

كيف كانت الحياة الثقافية في عصر الدولة الحفصية؟

المنهج المتبع:

للإجابة على هذه الإشكالية اعتمدنا على المنهج التاريخي الوصفي التحليلي الـــذي يتناسب مع سرد الأحداث والوقائع التاريخية، وصفا دقيقا، وانتقاء المـــادة العلميـــة مـــن مصادرها الأصلية.

واتبعنا في المذكرة على خطة موضحة لأهم ما قمنا بدراسته خلال البحث تضمنت مقدمة ومدخل تمهيدي وأربعة فصول، تناولنا في المقدمة التعريف بالموضـــوع، أمـــا المـــدخل التمهيدي فشمل:

الإطار الجغرافي للدولة الحفصية وجوانب من تاريخ هذه الدولة ثم قسمنا لب الموضـــوع إلى أربعة فصول الأول: عنوناه بعوامل نمو الحركـــة الثقافيـــة بالـــــدولة الحفـــصـــية و أدرجنا فيه ثلاثة مباحث الأول تنـــاولنا فيه عناية سلاطينها بالحركة الثقـــافية والثانـــي

المؤسسات التعليمية في الدولة الحفصية من مساجد ومدارس وزوايا وجوامع أما الثالث فخصصناه للرحلة العلمية، أما الفصل الثاني فتناولنا فيه التعليم بالدولة واحتوى ثلاثة مباحث: الأول أنوع التعليم ومراحله والثاني مناهج وطرق التدريس أما الثالث ففيه تعليم المرأة والإجازة العلمية والفصل الثالث العلوم النقلية والعقلية بالدولة الحفصية: المبحث الأول العلوم النقلية وأدرجنا فيها علوم القرآن والتفسير وعلوم الفقه والحديث والثاني العلوم اللسانية تناولنا فيه علوم اللغة العربية من نحو وصرف وبلاغة والآخر العلوم الأدبية من نثر وشعر والثالث التصوف والعلوم الاجتماعية والرابع العلوم العقلية والطبيعية وتناولنا الرياضيات وعلم الفلك والمنطق وأيضا الطب والصيدلة.

أما الفصل الرابع فهو فصل للفنون والعمارة الأول الفنون وفيه النقش والزخرفة والموسيقى والفن والثاني العمارة بما فيها من مساجد وأضرحة إضافة إلى القصور والعمارة العسكرية.

وقد انهينا بحثنا بخاتمة حوصلة حول الموضوع تضمنت مجموعة من الاستنتاجات المستخلصة من دراسة هذا الموضوع.

وأرفقنا الموضوع بمجموعة من الملاحق صورت لنا جانب من الحياة الثقافية بالدولة الحفصية.

دراسة نقدية لأهم المصادر والمراجع: لإثراء موضوعنا سعينا بجهدنا لتوفير عدة مصادر ومراجع تخدم موضوعنا أهمها كتاب الغبريني، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية والذي ترحم فيه لـ 109 عالما سواء الذين استوطنوا ببجاية أو الوافدين إليها لكنه في بعض الأحيان لا يعطي لنا تاريخ وفاة بعضهم.

ابن خلدون وكتابه تاريخ ابن خلدون (تاريخ العبر و ديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصر هم من ذوي السلطان الأكبر، الجزء6 ،وتحدث فيه عن الجانب السياسي للدولة الحفصية وسلاطينها، والمقدمة التي أفادتنا في تحديد العلوم وتعريفها.

صعوبات الموضوع:

ولأن كل عمل لا يخلو من الصعوبات فقد واجهتنا العديد مـــن الـــصعوبات حاولنـــا بجهدنا أن نعمل على تخطيها منها: ندرة وقلة المادة العلمية التي تتناول الموضوع بتوسع وتخصص إلا القليل منها، وكذا اعتماد جلّ المصادر والمراجع علـــى دراســـة الجانـــب السياسي وإهمال الجانب الثقافي، وقلة المصادر والمراجع بالمكتبة الجامعيـــة وصـــعوبة الحصول عليها، إضافة إلى عدم توفر الموضوع على مراجع أجنبية عاصرت فترة دولة بني حفص، كانت ستثري لنا الموضوع أكثر وتتناوله بوجهة نظر مختلفـــة عمـــا يـــراه مؤرخوا بلاد المغرب الإسلامي.

وفي الأخير نتقدم بأسمى عبارات الشكر والعرفان للأستاذ المشرف " السعيد عقبة " على توجيهه لنا، وصبره علينا، فقد كان نِعْم المؤطر وخير المشرف، فله منّا كل الشكر.
هذا فإن أصبنا فمن الله وحده، و إن أخطأنا فمن أنفسنا ومن الـــشيطان، والله مـــن وراء القصد.

مدخـل تمهيـــدي :

لمحة جغرافية و تاريخية عن الدولة الحفصية

1 - لمحة جغرافية

2 - لمحة تاريخية

1 - لمحة جغرافية :

تعد الدولة الحفصية من أهم الدول التي قامت في بلاد المغرب الإسلامي خلال العصر الوسيط.

أ - إطارها الطبيعي:

أما عن حدود الدولة الحفصية، فامتدت من مدينة الجزائر غربا إلى عقبة برقة التي تفصل طرابلس عن برقة، هذا حدها الشرقي الأقصى، وكان يحدها البحر من الشمال ومن الجنوب يحدها أقاصي بلاد الجريد[1].

وقد احتلت تونس وبجاية مكانتان هامتان داخل الدولة، فكانت تونس عاصمتها السياسية وهي تقع في سفح جبل يعرف بجبل أم عمرو، ويدور بمدينتها خندق حصين ولها خمسة أبواب، باب الجزيرة القبلي ينسب إلى جزيرة شريك، ويخرج منه إلى القيروان ويقابله جبل التوبة[2].

فتونس إذن في أقصى الدولة الحفصية من جهة الشرق، وتضم البلاد التي كانت تسمى بالذات افريقية[3].

أما عن بجاية عاصمتها الثقافية فهي مدينة حصينة تقع في سفح جبل وعر، مقطوعة بنهر وبحر[4].

وهي مدينة على ساحل البحر بين افريقية و المغرب، كان أول من اختطها الناصر بن علناس بن حماد بن زيري بن مناد بن بلكين في حدود (457 هـ/1024م)[5] في هذه السنة كانت حرب بين الناصر بن علناس ومن معه من رجال المغاربة من صنهاجة ومن زناته ومن العرب[6].

---

1 – ألفرد بيل: الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي حتى اليوم، تر: عبد الرحمان بدوي، ط2، (دج) دار الغرب الإسلامي، بيروت،1981م، ص297.

2 – شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي: معجم البلدان، (د ط)، مج2 ، دار صادره بيروت (د س ن)، ص60.

3 – مرمول كربخال: إفريقيا، تر: عمد حجي، (دط)، (دج)، مكتبة المعارف، (د ب ن)، 1984م، ص26.

4 – محمد العبدري البلنسي: الرحلة المغربية، تح: احمد بن جدو، (د ط) ،(دج) ، مطبعة البعث، قسنطينة، (دس ن) ص23.

5 - ياقوت الحموي: المصدر السابق، مج1، ص339.

6 - نفسه، ص101.

وبعد صراع مرير بين المعز وابن حماد، استطاع الناصر بن علناس تأسيسها وسماها الناصرية، وانتقل إليها وجعل فيها ورشتين لبناء السفن والمراكب البحرية الحربية و التجارية.

وقد وصلت بجاية في عصر بني حماد إلى تطور حضاري هائل، حيث أصبحت هي مدينة المغرب الأوسط، وعين لبلاد بني حماد فكانت لها السفن مقلعة و بها القوافل المنحطة، والأمتعة إليها برا وبحرا مجلوبة، والبضائع نافقة وأهلها مياسير تجار، وبها الصناعات[1].

وازدهار الفلاحة، واشتهرت معادنها الكثيرة ومنتوجاتها المتعددة[2].

وقد عاشت هذه الدولة ما يقرب من مائة وأربعين سنة، منذ نجح حماد في اقتطاعها من دولة بني زيري[3]، وقد احتلت الدولة الحمادية مكانة هامة.

ب - أصل الحفصيين ونسبهم:

اختلف علماء التاريخ في أصل الحفصيين ونسبهم، فمنهم من أرجعهم إلى أمير المؤمنين، عمر بن الخطاب رضي الله عنه[4]. وهؤلاء يقولون هو أبو حفص عمر ابن يحي إبن محمد بن وانودين بن علي بن أحمد بن والال ابن إدريس بن خالد بن اليسع بن الياس إبن عمر بن وافتق بن محمد بن نجيه بن كعب بن محمد بن سالم بن عبد الله بن عمر ابن الخطاب، ويظهر أن هذا النسب القريشي وقع في المصامدة من البربر،. والبعض الآخر يرجع نسبهم إلى بني عدي بن كعب رهط عمر بن الخطاب الذي ينسب فيه[5].

ومنهم من أرجعهم إلى هنتاتة، وهي من قبائل المصامدة، من البربر بجبال درن المتاخمة لمراكش (المغرب الأقصى)[6]. وكان لشيخهم وكبيرهم أبو حفص عمر، وهو من العشرة

---

1 – يحي بوعزيز: موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب، (د.ط) ،ج1، دار الهدى، الجزائر،2004 ص ص49-50.

2 – أبو العباس أحمد بن أحمد الغبريني: عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تح: رابح بونار، ط2، (د ج)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،1981م، ص8.

3 – عبد الحليم عويس: دولة بني حماد في الجزائر، مجلة الأصالة، العدد 14، مطبعة البعث قسنطينة، الجزائر،1973م ص307.

4 - حسن حسني عبد الوهاب: خلاصة تاريخ تونس، (د ط)،(دج)، الدار التونسية للنشر، تونس، 1983م، ص126.

5 - أبو العباس أحمد القلقشندي: صبح الأعشى، (د ط)، ج5، المطبعة الأميرية، القاهرة، مصر،1915م ص ص133-134.

6 – أحمد بن أبي الضياف: إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، تح: لجنة من كتابة الدولة للشؤون الثقافية و الأخبار، ط2، ج1، الدار التونسية للنشر، تونس 1976م، ص193.

السابقين لدعوة ابن تومرت، وأول من بايعه من قومه ، فدعاهم إلى إتباعه وطاعته[1]. وكان للشيخ أبي حفص مكانة سامية ومرموقة في دولة الموحدين[2].

وبفضل انتساب الحفصيين إلى قريش وانتسابهم إلى الرسول صلى الله عليه وسلم بزواج النبي من حفصة بنت عمر- رضي الله عنه- استطاعوا أن يكسبوا حكمهم صبغة شرعية[3].

2 - لمحة تاريخية:

أ - قيام الدولة الحفصية (التأسيس):

لما تقلص ظل دولة الموحدين ثار بافريقية بنو أبي حفص، فاستقلوا بها فاستحدثوا ملكا لأعقابهم بنواحيها، ولما استفحل أمرهم خرج على الممالك الغربية من أعقابهم الأمير أبو زكرياء يحي بن السلطان أبي إسحاق إبراهيم رابع خلفائهم (684-700هـ/1285-1301م) واستحدث ملكا ببجاية وقسنطينة وأورث بنيه[4]. ومن الله بالدولة الحفصية العمرية، وأنار بها الأفاق الإفريقية، وحرك لانتشار كلمتها الملك أبا محمد عبد الواحد ابن الشيخ المقدس المجاهد أبي حفص، فنشر ذكرها، وأظهر أمرها وخلفه ابنه أبو زكرياء (625-647 هـ/1228-1249م) فزاد في محاسنها[5].

ويعود تاريخ الانفصال الرسمي عن الموحدين- بالنسبة للحفصيين- إلى سنة(626 هـ-1228م)[6].على يد أبي زكرياء الذي يعتبر أول من استبد بافريقية من بني حفص حيث امتد نفوذها من طرابلس شرقا إلى سبتة غربا وإلى سجلماسة جنوبا، وكان الأمير أبو زكرياء ملكا فاضلا عالما كاتبا صليب الراي[7].

وهناك عدة أسباب شجعت أبا زكرياء بالإنفصال وتأسيس كيان سياسي حفصي مستقل عنها

---

1 – عبد الرحمان بن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ط3، ج6، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2006م، ص326.

2 - عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، (د ط)، (د ج)، مؤسسة شباب الجامعة، مصر، 2008م ص799.

3 - حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي الديني، الثقافي والاجتماعي، (د ط)، ج4، دار الجيل، مكتبة النهضة المصرية، لبنان، القاهرة، 2009م، ص302.

4 - عبد الرحمان بن خلدون: المقدمة، تح: أبي عبد الرحمان عادل بن سعد، (د ط)، (د ج)، الدار الذهبية القاهرة مصر،2006م، ص319.

5 - ابن قنفذ القسنطيني: الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، تق وتح: محمد الشاذلي النيفر وعبد المجيد التركي (د ط)،(د ج)، الدار التونسية للنشر، تونس، 1968م، ص108.

6 - أبو عبد الله محمد بن أبي بكر القضاعي: الحلة السيراء، تق وتح: حسين مؤنس، ط1، ج2، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، مصر، 1963م،ص279.

7 - علي محمد الصلابي، صفحات مشرقة من التاريخ الإسلامي،ط1،ج2، دارابن الجوزي، القاهرة مصر،2007م، ص545.

- ضعف دولة بني عبد المؤمن وانهيارها في المغرب والأندلس بعد موقعة العقاب 1212م، وبذا حانت الفرصة لبني حفص بالاستقلال بافريقية و تسموا بالخلفاء[1].

- قتل الخليفة الموحدي إدريس للموحدين بمراكش وخصوص من هنتاتة التي تعد قبيلة الحفصيين[2].

ولما إستقل أبا زكرياء بتونس دخل قسنطينة سنة 628هـ بعد حصارها، ثم رحل إلى بجاية التي احتلها[3]. وبهذا دخلت بجاية تحت السلطة الحفصية على يده من قبل سنة (626 هـ- 1229م)[4].

ويعتبر إعلان البيعة للأمير أبي زكرياء (634 هـ/1237م)[5]، نقطة تحول كبرى في تاريخ البيت الحفصي، إذ تستطيع أن تؤرخ بها ظهور الدولة الحفصية وأصبحت لها حدود، ولها أمير بويع بالإمارة من قاضي القضاة والعلماء، ورجال الدين والعامة[6]. وأمر أن تقام الصلاة بإسمه وهي صورة من صور الاستقلال[7].

وبخروج أبو زكرياء عن طاعة الموحدين أضاف إلى ولاية تونس قسما من تراب المغرب الأوسط يمتد إلى قرب تلمسان، وكانت أيام الحفصيين من عصور تونس الزاهرة حيث كانت في أيام أبي زكرياء الأول (625-647 هـ/1228- 1249م)، وابنه المستنصر (647-675 هـ/1249/ 1277م) أعظم واخطر مملكة في العالم الاسلامي[8]. لكن سرعان ما دب الضعف أنحاء الدولة الحفصية، فانقسمت إلى ناحيتين شرقية وغربية سنة (683 هـ-1287م)، فانتصب بحضرة تونس أبو حفص ابن أبي زكرياء الذي استقل

1 - ابن أبي دينار، المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، ط1، (د ج)، مطبعة الدولة التونسية، تونس، 1282م، ص96.
2 – ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص335.
3 - أبو عبد الله محمد الزركشي: تاريخ الدولتين الموحدية و الحفصية، تح وتع، محمد ماضور، (د ط)،(د ج)، المكتبة العتيقة، تونس، (د س ن)، ص25.
4 - صالح بيعزيق، بجاية في العهد الحفصي، دراسة اقتصادية واجتماعية، (د ط)،(د ج)، منشورات كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، تونس، 2006م، ص66.
5 - ابن أبي الضياف: المصدر السايق، ص197.
6 - عبد الفتاح مقلد الغنيمي: موسوعة المغرب العربي، ط1،مج3،ج5،مكتبة مدبولي القاهرة، مصر، 1966م، ص27.
7 - محمد الهادي الشريف: تاريخ تونس من عصور ما قبل التاريخ إلى الاستقلال، تع: محمد الشاوش ومحمد عجينة ط3، (د ج)، دار سراس، تونس،1993م، ص53.
8 - سليمان مصطفى زبيس: أثار المغرب العربي، (د ط)، (د ج)، (د د ن)،(د ب ن)،(د س ن)، ص71.

بالناحية الغربية- بجاية، الجزائر وقسنطينة، وبقيت منقسمة على نفسها ثلثا قرن إلى سنة (718هـ/1318م)[1].

و بإنقسام الدولة الحفصية، عمّ الإضطراب فيها حتى صار لها عاصمتان تونس وبجاية[2]ولم يكن هذا الانقسام لصالح الدولة الحفصية، رغم أنه حافظ على إسم الدولة، وفي عهد أبي عصيدة (694-709 هـ/1295-1309م)، ويحي ابن إبراهيم أبرم القسمان الشرقي والغربي من الدولة الحفصية إتفاقية لتوحيد الدولة[3].

و بإتفاق السلطانين، أبي عصيدة خليفة تونس، وأبي البقاء سلطان بجاية على جمع حكم المملكتين فيمن يطول عمره منهما، والتأمت الوحدة الحفصية تحت إمرة أبي البقاء (700-709هـ/1301-1309م)[4].

ب - نظام الحكم:

إذا كانت الدولة الحفصية بنيت في سنواتها الأولى على الإمامية وكلمة التوحيد فإنها لا تقل تمسكا بمبدأ الوراثة عن الدولة الموحدية نفسها وهي الدولة الأم[5].

ولهذا كان الملك يعين عن طريق الوراثة باختيار من أبيه فيبايعه الأعيان من قواد وفقهاء وأئمة وقضاة، ويأتي بعد الملك الشخص الذي يحتل أعلى رتبة ويسمى المنفذ وهو نائب السلطان في حكم السلطة، يعرض على السلطان جميع القضايا الإدارية التي أنجزها ويعين الموظفين في مناصبهم بموافقة الملك، ويسمى صاحب المنصب الثاني المزوار وهو شبه القائد العام له السلطة المطلقة على الجنود والحرس الملكي، والثالث يشرف وهو قائد القصر المكلف بحرس القصر وما جاوره، والرابع هو والي تونس الذي له الصلاحية في النظر في القضايا الجنائية وإصدار الأحكام، والخامس هو الكاتب الأعظم والسادس

1 - ابن قنفد القسنطيني: المصدر السابق، ص22.
2 – ألفرد بيل: المرجع السابق، ص299.
3 – عبد الكريم غلاب: قراءة جديدة في تاريخ المغرب العربي عصر الإمبراطورية العهد التركي في تونس والجزائر ط1، ج2، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، 2005م، ص232.
4 – شارل أندري جوليان، تاريخ إفريقيا الشمالية (تونس، الجزائر، المغرب الأقصى) من الفتح الإسلامي إلى سنة 1830م، تر: محمد مزالي البشير بن سلامة، (د ط)، ج2، الدار التونسية، تونس، (د س ن)، ص183.
5 – محمد العروسي المطوي:السلطنة الحفصية تاريخها السياسي ودورها في المغرب الإسلامي (د ط)،(د ج)، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، 1986م، ص125.

هو قائد الديوان، والسابع هو الأمين الذي يستلم المال من الجباة ويدفعه إلى أصحاب بيت المال، والثامن هو مدير المكس، والتاسع هو مدير الجمارك، والعاشر هو القائم بالصرف. تلك هي الوظائف الرئيسية والمناصب المهمة في هذا البلاط[1].

ولقد انتهج الحفصيون نظام الموحدين فاستعملوا نظام المشايخ وكان أهم المشايخ يساهم في مجلس الشورى[2]، وكان هنالك دواوين وهي ديوان الإنشاء والمالية ديوان الأشغال و الجيش ديوان الجند[3]، ففي عهد أبي زكرياء كان هنالك ثلاثة وزراء وهم وزير الجند ووزير المال الذي يسير ديوان المحاسبة وديوان الضرائب، والوزير المكلف بالكتابات السياسية ورجال الأمن[4].

وكانت حكومة الدولة الحفصية مستقلة، تماما تحت رعاية السلطان وكان أولهم والذي أعتبر هو المؤسس الحقيقي للدولة الحفصية، أبو زكرياء يحي الأول الحفصي (627 هـ/1229م) الذي استطاع ترسيخ دعائم الدولة، وتلاه ابنه أبو عبد الله محمد الأول المستنصر (647 هـ/1249م)، الذي كان أول من لقب بالخليفة أمير المؤمنين[5]. وتوال من بعده العديد من الأمراء، الذي كان لبعضهم أثر وأهمية على الدولة الحفصية، نعدد من بينهم: أبو زكرياء يحي الواثق بن المستنصر (675 هـ/1277م)، وأبو إسحاق إبراهيم بن أبي زكرياء (678 هـ/1279 م)، أبو حفص عمر الأول بن أبي زكرياء، وإضافة إلى أبي يحي زكرياء بن أحمد بن محمد اللحياني (717هـ/1317م)، أبو العباس أحمد بن محمد بن أبي بكر بن يحي (749 هـ/ 1348م)[6].

1 – الحسن بن محمد الوزان الفاسي (ليون الافريقي): وصف افريقية، تر: محمد حجي ومحمد الأخضر، ط1، ج2 دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، 1983م، ص ص 78–79- 80.

2 - عبد الله شريط ومبارك الميلي: مختصر تاريخ الجزائر السياسي والثقافي والإجتماعي، (د ط)،(د ج)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1985م،122.

3 - محمد الهادي الشريف: المرجع السابق، ص55.

4 - عبد الله شريط ومبارك الميلي: المرجع السابق، ص122.

5 – عبد الرحمان بن محمد الجيلالي: تاريخ الجزائر العام، (د ط) ،ج2، دار الأمة، الجزائر،2009م، ص ص82-83

6 – يحي بوعزيز: الموجز في تاريخ الجزائر القديمة و الوسيطة، ط2، ج1، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 2009م، ص240.

وكذلك أبو فارس عبد العزيز (796هـ/1393م)، وأخوه زكرياء[1]. هذا ويعد أبو العباس احمد الثالث من أواخر أمراء الدولة الحفصية[2]، التي دامت زهاء ثلاثة قرون، من (603- 984 هـ/1206- 1574م)، وكان سقوطها سنة 1574م بانتصار الأتراك على آخر سلاطينها[3].

1 – تقي الدين أحمد بن على المقريزي: درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة، تح: محمود الجليلي، ط،ج3، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 2002م، ص241.
2 – إبن أبي الضياف: المصدر السابق، ص242.
3 - ألفرد بيل: المرجع السابق،ص300.

الفصـــل الأول:

عوامل نمو الحركة الثقافية في الدولة الحفصية

1 – عناية سلاطين الدولة الحفصية بالحركة الثقافية

2 – المؤسسات التعليمية بالدولة الحفصية

3 – الرحلات العلمية

1 - عناية سلاطين الدولة الحفصية بالحركة الثقافية:

لقد إهتم سلاطين بني حفص بالجانب الثقافي وأولوه العناية الكاملة، فإزدهرت العلوم والفنون، بفضل تشجيعهم وترغيبهم لرجال الفكر والفن على عادة ملوك وأمراء المشرق[1]، هذا الأمر أدى بالعديد من طلاب العلم وغيرهم إلى الإقبال لطلب العلم، وإزدهرت الثقافة وإنتعش الأدب، ونشطت حركته، إضافة إلى العلوم الأخرى، ومن مظاهر تلك النهضة إزدهار النثر الفني الذي إمتازت به رسائل ذلك العهد، كما إزدهر الشعر وخصوصا الشعر المرتجل في المناسبات[2].

ولقد ساهم في تلك النهضة بقسط وافر، مهاجروا الأندلس، الذين كانوا محل اهتمام الولاة في الدولة الحفصية، للاستفادة من الخبرات الأندلسية في شتى المجالات المختلفة[3]، وذلك بعد فتح أبواب الهجرة، فأخذوا في الهجرة أفواجا نحو الدولة الحفصية، وكان حظ الدولة الحفصية منهم كبيرا[4]، ذلك بعد أن فتح أبو زكرياء أبواب مدنه للمهاجرين منهم، ولقد إهتم السلطان الحفصي وهو أبو زكرياء الأول (625-647 هـ/1228م- 1249م) بالعلم والعلماء والفقهاء، ومن بينهم: أبو العباس أحمد بن عثمان بن عبد الجبار المتوسي المليانى وهو عالم بالعربية والفقه وأصول الدين استدعاه أبو زكرياء إلى افريقية وحضر مجلسه فأجله الحاضرين إجلالا كبيرا إلى أن توفي سنة 644 هـ[5].

كما قام أيضا أبي عبد الله المستنصر أبي زكرياء يحي(647هـ-675هـ/1249م-1277م) بالإستفادة من مهاجري الأندلس وبهذا طور الدولة وجعلها مقصدا للعلماء والأدباء[6]، ومن بينهم أبو القاسم محمد بن أحمد بن محمد الأموي المعروف بابن أندراس وهو طبيب وباحث وله معرفة بعلم العربية ولقد استدعاه أمير المؤمنين أيضا إلى إفريقية فحضر

---

1 – عبد العزيز الدولاتي: مدينة تونس في العهد الحفصي، تع: محمد الشابي وعبد العزيز الدولاتي، ط1، (د ج)، دار سراس للنشر، تونس، 1981م، ص84.

2 - أحمد بن عامر: الدولة الحفصية صفحات خالدة من تاريخنا المجيد، (د ط)، (د ج)، دار الكتب الشرقية، تونس (د س ن)، ص67.

3 – محمد عادل عبد العزيز:الجذور الأندلسية في الثقافة المغربية،(د ط)،(د ج)، دار الغريب القاهرة،2006م،ص222.

4 – محمد الطمار: الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج، (د ط)،(د ج)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،2007م ص177.

5 – الغبريني: المصدر السابق، ص ص171-172.

6 – عبد العزيز سالم: المرجع السابق، ص791.

مجلسه وأصبح من أطبائه وجلسائه[1]، إضافة إلى القاضي الشهير الجليل أبو العباس أحمد بن محمد بن الحسن بن الغماز الأنصاري وهو قاضي اشتهر بالعدل وكان من بين العلماء الذين إستدعاهم أمير المؤمنين المستنصر بالله إلى افريقية وقربهم إليه وعمل كقاضي عنده[2]، ونضيف أيضا أبو العباس أحمد بن عيسى بن عبد الرحمان الغماري وهو عالم بأصول الفقه وأصول الدين وكذا علم الأدب[3]. وأبو الحسن بن موسى بن معمر كان أديبا فقيها فصيحا بارع الخط حسن النظم والنثر وكان ذا مكانة بافريقية وهو صاحب العلامة المستنصرية[4]، وكان ذا حظ عند المستنصر[5].

كما كان أيضا سلاطين الدولة الحفصية يولون اهتماما بالتدريس في شتى المجالات، فقاموا بمنح الإعانات للمدرسين في الجوامع، وشيوخ الزوايا لمساعدتهم ماديا وتشجيعهم على العمل، و الضغط عليهم في آن واحد، كما كانوا يقومون بتعيين المدرسين في الغالب وخاصة في المدارس التي تأسست بعناية السلطان أو بعض كبار رجال الدولة في مدينة تونس وفي بعض المدن الأخرى مثل قسنطينة وطرابلس[6].

إضافة إلى ذلك كان الأمراء يشرفون على منابر تلقى فيها دروس علمية تتعلق إما بالمذهب، أو التاريخ، أو العلوم، كما أبدى السلاطين اهتمامهم بالمدارس في حد ذاتها وتقديرهم للدور الذي تقوم به المدارس والعلماء[7]، ولقد دفع حب المعرفة أبا زكرياء يحي ابن أبي إسحاق الأول (625-647هـ/1228-1249م) إلى إحداث كوة في منزله (دار الغورة) قرب جامع الزيتونة، كان يتسنى له بواسطتها الإستماع إلى الدروس التي تلقى في المدرسة التي أسسها بجوار قصره[8].

وقام أيضا ببناء جامع القصبة وصومعته الغريبة الصنع، وكتب إسمه عليها وهو أول من أذن فيها لصلاة الصبح، وبنى المدرسة الشماعية وجدد رسوم القصبة،[9] إضافة إلى

---

1 - الغبريني: المصدر السابق، ص ص101-102.
2 – نفسه، ص ص129-130.
3 - نفسه، ص ص112-113.
4 - هي الشارة التي كانت تكتب في رسائل السلطان وكان لها كاتب خاص يكتبها بخط مغربي و مشرقي جميل نفسه، ص256.
5 - نفسه، ص ص255-256.
6 - روبار برونشفيك: المرجع السابق، ص377 .
7 - ألفرديل: المرجع السابق، ص357.
8 - ابن أبي الضياف: المصدر السايق، ص ص198-199.
9 - عبد العزيز الدولاتي: المرجع السابق ص 84 .

جمعهم بين الحين والآخر علماء العاصمة في القصر السلطاني، ويجرى البحث في جلسات علمية عميقة، أو كان السلطان يطلب من أحد العلماء الحاضرين أن يفسر أمامه نصا يحدده في مجال تخصصه[1].

والسلطان أبو العباس الحفصي سلك ذلك المنهج عندما كان أميرا على قسنطينة ولقد أورد ابن القنفذ أن السلطان أبا العباس كان يحضر بعض الدروس العلمية بانتظام[2]. ويكفي هذا السلطان فخرا موقفه من عبد الرحمان بن خلدون عندما احتضنه وحماه طيلة السنوات الأربعة التي قضاها في تونس حتى وفر له من الوقت والإطمئنان مما ساعده على المزيد من التحري في كتابة تاريخه الكبير[3].

كما قام أيضا ببناء المصانع والهياكل العظيمة وجدد ما تهدم من الحنايا وبني قبة الجلوس بالقصبة، وبنت أمه الأميرة عطف جامع التوفيق والمدرسة التوفيقية[4].

أما عن أبو فارس عبد العزيز بن أبي العباس أحمد بن محمد فلقد قام ببناء خزانة للكتب بجامع الزيتونة التي نوه المؤرخون بعدد أسفارها[5]. وله عدد من الأبنية والمصانع والزوايا في الطرق لمبيت أبناء السبيل كما احدث المارستان بمدينة تونس للضعفاء والغرباء وأوقف على جميع حسناته أوقافا كثيرة[6].

كما بنى الماجل الكبير بمصلى العيدين خارج باب سيدي عبد الله ويقال انه من الأبنية الضخمة التي قل من بنى مثلها[7]، والواقع أن الأعمال التي أنجزها أبو فارس عبد العزيز هي دليل على ما يمكن أن يقدمه استمرار الحكم وقوة الحاكم من إصلاحات وإنجازات تعود على المصلحة العامة، وهو ما لوحظ فقدانه في فترات عديدة وعهود كثيرة أيام السلطنة الحفصية قبل أبو فارس عبد العزيز وبعده[8].

---

1 - ألفردبيل: المرجع السابق، ص357.
2 - محمد العروسي المطوي: المرجع السابق، ص542.
3 - أبو زكرياء يحي ابن خلدون: بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، تق تح تع:عبد الحميد حاجيات،(د ط) ج1، المكتبة الوطنية الجزائر، 1980م، ص27.
4 – ابن أبي الضياف: المصدر السابق، ص ص 204- 205.
5 – محمد العروسي المطوي: المرجع السابق ص595 .
6 – ابن أبي الضياف: المصدر السابق، ص231.
7 – محمد العروسي المطوي: المرجع السابق، ص ص 594-595 .
8 - نفسه: ص597.

ولكن هذا الأمر لا يمنع وجود إنجازات، من طرف السلاطين الذين تلو بعده مثل السلطان أبي عمرو عثمان (339 هـ- 1435م)، الذي قام بإكمال المدرسة التي أمر بها أخوه وهي المنتصرية[1].

كما قام ببناء مدرسة لقراءة العلم بزنقة سيدي محرز، وجعل بها مسجدا للصلاة، وزاوية بعين الزميت ما بين باجة وتونس، وجعل بها مسجدا ومدرسة ورباطا للقاطنين وطعاما للصادرين والواردين، وإضافة إلى ذلك خزانة الكتب بالمقصورة الشرقية من جامع الزيتونة ومنها مكان لتعليم القرآن العظيم وغير ذلك من الأعمال المشرفة[2]. وجاء بعده أبو عبد الله محمد بن الحسن بن محمد المسعود (932 هـ / 1525م) الذي بنى المدرسة العبدلية نسبة إلى إسمه وأوقف بها كتبا في شتى الفنون والعلوم[3].

2 - المؤسسات التعليمية بالدولة الحفصية :

لقد إزدهرت الحياة التعليمية في الدولة الحفصية، وذلك لنشاطها العلمي ويرجع هذا بفضل مؤسساتها التعليمية التي أكسبتها حركة علمية واضحة كالمساجد و المدارس و الزوايا والمكتبات التي إنتشرت في هذه الفترة.

أ- المساجد:

لقد تعددت المساجد منذ بداية الفتح الإسلامي لبلاد المغرب، واهتم المغاربة بالجانب الديني، حيث اعتنى الحفصيون بهذا الجانب، وقاموا ببناء العديد من المساجد والجوامع واهتمامهم بها وترقية بعض المساجد التي كانت موجودة من قبل.

ففي (629 هـ-1229م)[4]، قام أبو زكرياء ببناء جامع القصبة وصومعته الجميلة في تونس[5].الاسم المشهور به هذا الجامع هو الجامع بين الناس، وجامع القصبة لأن موقعه بقلبها، وكانوا في المائة السابعة يسمونه جامع الموحدين، نسبة لسلف مؤسسه، ونسبته

1 - حسن حسني عبد الوهاب: المرجع السابق، ص148.
2 - ابن أبي الضياف: المصدر السابق، ص235.
3 - محمد الفاضل بن عاشور، ومضات فكر،(د ط)،(د ج)، الدار العربية للكتاب، تونس، 1982م ،ص261.
4 - الزركشي: المصدر السابق، ص26.
5 - حسين مؤنس: تاريخ المغرب وحضارته من قبيل الفتح الإسلامي إلى الغزو الفرنسي، ط1، مح2، ج2، العصر الحديث للنشر، لبنان، 1992م، ص224.

للحفصي موافقة لحقيقة حاله، لأن الذي بناه أبو زكرياء يحي بن عبد الواحد بن أبي حفص كما سبق ذكره[1]، وقامت الأميرة عطف ببناء جامع التوقيق[2].

وينسب إلى المستنصر بناء مسجد باب الدرب بالمنستير[3]، وقام المستنصر أيضا بالنظر في بناء جامع الزيتونة وغيره من المساجد[4].

وقد كثرت الجوامع في مدينة تونس، كما وصف الوزان جامع الزيتونة في قوله:

« بمدينة تونس جامع كبير في غاية الجمال و السعة، كثير المستخدمين عظيم الموارد وجوامع أخرى في المدينة والأرباض أقل أهمية من الجامع الكبير[5]».

ويعود هذا المسجد إلى القرن الأول وكان أول من بناه إسماعيل بن عبيد الأنصاري تاجر الله ثم إنه تهدم وأقام كذلك أعواما حتى قيض له من أهل الرغبة في الخير من بناه وأعاده على هيئته.

قال العواني بناه الشيخ أبو سعيد بن محمد التيمالي المعروف بالعود الرطب، وحبس عليه حوانيت بمدينة تونس، وذلك سنة (660 هـ- 1262م) وكانوا يدخلون المدينة لصلاة الجمعة بجامعها فحان وقت الصلاة، وجاءت أعراب فلم يجدوا من ينزلهم، وخافت النساء منهم فأغلقوا أبوابهن دونهم، فكلم بعض أولاد الشيخ أبي رحمة غيث بن قاسم الحكيمي السلطان أبا العباس أحمد فأذن لهم بأن يقيموا الجمعة في هذا المسجد[6]، وكان يطلق على جامع الزيتونة بالجامع الأعظم[7].

ومسجد الملاسين أسسه الخليفة أبو عبد الله المنتصر (838 هـ- 1234م)[8]، وجعل السلطان أبي فارس جامعا للخطبة في الزاوية التي بسيجوم[9].

1 - محمد بن خوجة: معالم التوحيد في القديم والجديد، تح و تق: الجيلاني بن الحاج يحي وحمادي الساحلي، ط2 (د ج) ، دار المغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1985م، ص157.
2 - ابن أبي دينار: المصدر السابق، ص ص127-128.
3 - السيد عبد العزيز سالم: المرجع السابق، ص791.
4 - ابن أبي دينار: المصدر السابق، ص130.
5 - الحسن الوزان: المصدر السابق، ص76.
6 - أبو زيد عبد الرحمان بن محمد الأنصاري الأسيدي الدباغ : معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، تع: أبو الفيصل أبو القاسم بن عيسى بن ناجي التنوخي، (د ط)، (د ج)، (د س ن)، ص28.
7 - ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة المسماة بتحفة النظار في غرائب الأمصار، شر: طلال حرب، ط3 (د ج)، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، 2002م، ص34.
8 – عبد العزيز الدولاتي: المرجع السابق، ص261 .
9 – ابن أبي دينار: المصدر السابق، ص146.

وأنشىء جامع باب البحر ثم جامع أبي محمد وجامع باب الجزيرة، ثم جامع سيدي يحي، ثم جامع سيدي جعفر وهو ثامن جوامع الخطبة بتونس وآخر ما ثبت إحداثه في عهد الدولة الحفصية[1].

وقد أورد الغبريني (704 هـ/ 1304م) في كتابه العنوان العديد من مساجد بجاية التي كانت ذات شهرة علمية فائقة كمسجد الفقيه الشيخ أبي زكرياء يحي الزواوي (611 هـ/1214م)[2]، ومسجد أبو زكرياء المرجاني الموصلي وهو مسجد حومة اللؤلؤة وكان يجتمع فيه الأفاضل والصلحاء والمتعبدون، وكانوا يسمعون منه غرائب ويطلعون من أحواله على عجائب[3] والجامع الأعظم[4] الذي درسوا فيه، وكان مكان تواجده في القلعة الحمادية[5].

وأيضا نجد من مساجد بجاية مسجد بالغداة بعين الجزيري[6]، وهو أيضا ككل المساجد أقيم فيه التدريس بمختلف العلوم لأن في هذا العصر لعب المسجد دورا كبير في التدريس وكان أشهر مسجد في بجاية هو الجامع الأعظم.

ب - المدارس:

وقد كانت للدولة الحفصية العديد من الإنجازات التي ساعدت على نشر الثقافة وإرساء العلم من بين هذه نجد أن الحفصيون في تونس هم أول من أخذوا عن المشرق الإسلامي في القرن الخامس هجري لكن لم يظهر إلا في منتصف القرن السادس الهجري في افريقية على عهد الحفصيين[7].

وقد شهد عصر أبي زكرياء مدرستان ماثلتان إلى اليوم[8]، والمدرسة الثالثة التي أقيمت بالأسواق[9].

---

1 - محمد الفاضل بن عاشور: المرجع السابق، ص247.
2 - الغبريني: المصدر السابق، ص151.
3 - نفسه، ص165.
4 - نفسه، ص67.
5 - نفسه، ص265.
6 - نفسه، ص91.
7 - ألفردبيل: المرجع السابق، ص351.
8 - عبد العزيز الدولاتي: المرجع السابق، ص137.
9 - شارل أندري جوليان: المرجع السابق، ص165.

وكانت من إنجازات أبو زكرياء بناءه للمدرسة الشماعية[1](أنظر الملحق رقم:01) الواقعة قرب سوق الشماعين[2] هذه المدرسة التي زارها الرحالون فاستفادوا منها علما ومعرفة، ووجدوا فيها طلبا لهم وغايتهم فذكروها في رحلاتهم ووصفوا مجالسها وترجموا لشيوخها[3] وقد إهتم المستنصر بالمدارس[4] منها المدرسة المستنصرية(أنظر الملحق رقم:02) الذي درس بها محمد بن عبد الرحمان بن عسكر البغدادي[5].

والمدرسة التي أمرت ببنائها الأميرة عطف أم المستنصر بالله في أواسط القرن السابع هجري مدرسة الهواء[6]، وهي المدرسة التوفيقية أو مدرسة التوفيق وكانت تقع بجوار جامع قبالة زاوية الشيخ الزليجي بتونس[7]، وأسس الأمير أبو زكرياء ابن أبي إسحاق مدرسة المعرض زودها بكتب نفيسة في كل فن من فنون العلم[8] أما محمد ابن المولى عبد الله محمد بن أمير المؤمنين أبي فارس عبد العزيز شرع ببناء مدرسة ضخمة بالقرب من سوق الفلقة بتونس لقراءة العلم[9] وهي معروفة بالمنتصرية[10] حتى أكملت أخت الخليفة أبي يحي أبي بكر مدرسة عنق الجمل المدرسة العنقية أين عين القاضي ابن عبد السلام وفي حوالي نفس الفترة تحبس على مصحف يعود تاريخه إلى شوال 742 هـ الموافق لـ 1342م إلى وجود مدرسة بدرب عبد السلام تسمى العصفورية نسبة إلى ابن عصفور عالم النحو الشهير 434 هـ، وفي سنة 766هـ الموافق لـ 1364م توفي الحاجب ابن تافراكين ودفن في مدرسته ولم يمضي على تأسيسها بضع سنين وتقع هذه المدرسة قرب

1 – محمد العروسي المطوي: المرجع السابق، ص158.
2 – ابن أبي الدينار: المصدر السابق، ص127.
3 – محمد بن محد الأندلسي الوزير السراج: الحلل السندسية في الأخبار التونسية، تق تح: محمد الحبيب الهيلة، ط1 ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، (د س ن)، ص ص 58-59.
4 – يوسف علي بديوي: عصر الدويلات الإسلامية في المغرب والمشرق من الميلاد إلى السقوط ط1، (د ج) ، دار الأصالة، الجزائر، 2010م، ص206.
5 – ابن الفرحون اليغمري: الديباج المذهب في معرفة علماء أعيان المذهب، (د ط)، (د ج)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د س ن)، ص334.
6 – عبد العزيز الدولاتي: المرجع السابق، ص148.
7 – محمد الحسن العيدروس: المغرب العربي في العصر الإسلامي، (د ط)، (د ج)، دار الكتاب الحديث القاهرة 1430 هـ /2009 م، ص562.
8 – روبار برونشفيك: تاريخ افريقية في العهد الحفصي من القرن 13م إلى نهاية القرن 15م تع:حمادي الساحلي، ج2 ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، 1988م، ص384.
9 – ابن أبي دينار: المصدر السابق، ص146.
10 – حسن حسني عبد الوهاب: المرجع السابق، ص148.

قنطرة ابن ساكن أي بالشارع المعروف اليوم بنهج سيدي إبراهيم وهي نوع من المدارس المدافن عرفه المشرق قبل أن تعرفه افريقية، يجمع بين الوظيفة التعليمية وضريح شخصية لامعة وهكذا بلغ عدد المدارس في القرن الثامن هجري خمسة كان يتلقى فيها الطلبة تعليما عاليا موازيا للتعليم الذي يعطي في جامع الزيتونة ومتبعا المذهب السني[1].

ومن مآثر السلطان أبي عمرو عثمان الحفصي، إكماله للمدرسة التي أمر بها أخوه المعروفة بالمنتصرية، ومنها بناء مدرسته لقراءة العلم بزنقة سيدي محرز[2] ويرجع الفضل إلى هذا الخليفة في إتمام المدرسة الواقعة شرقي باب إنتجمي سنة 850 هـ الموافق لـ 1447م التي كان قد شرع في بنائها القائد نبيل ومدرسة تقع بالحلفاويين في مكان يدعى الرياض وهو على ما يبدو قصر كان يقطن فيه سنة 1394م الأمير الحفصي أبو يحي زكرياء أخ الخليفة أبي العباس أحمد ومع إننا لا نعلم شيئا عن اسم مؤسسها ولا عن تاريخ إنشائها، ففي وقوعها خارج باب سويقة دلالة واضحة عما بلغه هذا الربض من أهمية بالغة وهي الثانية التي تقام خارج سور المدينة الوسطى بعد المدرسة التوفيقية التي خص بها باب المنارة السلطاني منذ أواسط القرن السابع الهجري، أما في المدينة نفسها فقد بلغ عدد المدارس في أعقاب الدولة الحفصية سبع مدارس أغلبها يقع في قلب المدينة حول الجامع الأعظم كالشماعية والمعرضية والمنتصرية والعنقية والعصفورية.

إن هذا النمو الهام الذي سجلته المدارس ليعبر عن مدى التقدم الحاصل في ميدان نشر العلم والمعرفة وذلك بتوفير العدد اللازم من المؤسسات التعليمية المستجيبة بعدد الطلاب المتزايد، ويعكس أيضا أهمية مدينة تونس العاصمة جامعية وكمركز ثقافي[3].

ج- الزوايا:

لقد تعددت مراكز ومؤسسات التعليم وقراءة القرآن في المغرب الإسلامي وبالأخص في الدولة الحفصية التي عرفت العديد من المؤسسات وكانت من بينها الزوايا:

1 - عبد العزيز الدولاتي: المرجع السابق، ص140.
2 - إبن أبي الضياف: المصدر السابق، ص236.
3 - عبد العزيز الدولاتي: المرجع السابق، ص ص 140-140.

إن أصل الزاوية من المغرب على عكس المدرسة التي أتتنا من المشرق وعرفت هذه المؤسسة أيضا بافريقية ازدهارا شبيها بازدهار المدارس، ونجد أن الزاوية على صنفين فهناك الزاوية المبيت ومهمتها إيواء المسافرين الذين يباغتهم الليل، وأما الثانية فهي الزاوية الحاوية لجثمان ولي وهي التي يقصدها الناس للزيارة والتبرك، كذلك من مهام الزوايا تحفيظ القرآن وتعليم العلم وإقامة حلقات العلم بمختلف أنواعها ظهرت الزاوية المبيت لأول مرة في عهد الخليفة أبي فارس عبدا لعزيز، وقد أقيمت هذه الزوايا على أبواب الحاضرة لإستقبال المسافرين الواردين عليها من كل الآفاق، فقد أضيفت زاوية لجامع الملاسين[1].

وبناؤه للزاوية التي كانت تقع خارج باب البحر بعد أن كانت ماخورا يدر على خزانة الدولة عشرة آلاف دينار، فحول ذلك الماخور إلى مكان تقام فيه الصلاة، وتدريس العلم وقراءة القرآن وسكنى الطلبة وبناؤه أيضا للزاوية التي خارج باب أبي سعدون بحومة باردو، وجعلها منهلا للوارد من أي أفق كان يأوي إليها عشية، وحبس عليها ما يقوم بها[2] وأخرى خارج باب عليوة[3] التي بحومة الداموس المعروف بالشيخ الصالح سيدي فتح الله جعلها ملجأ للواردين من تلك الجهة إذ لم يقدروا على الوصول إلى المدينة[4].

وقام الأمير أبي عبد الله محمد ببنائه لزاوية الفندق فوق غابة شريك قبلي جبل زغوان جعلها ملجأ لمبيت الواردين من ناحية تونس أو من ناحية القيروان[5]، وكذلك من مآثره بناؤه لزاوية بعين زميت وجعل فيها جامعا للصلاة ودرسا لقراءة العلم ورباطا للقاطنين وسماطا قويا على ممر الأيام للمقيمين بها الوافدين وأوقف عليها وقفا كافيا ولم يبق منه شيء أيضا[6]، وان زاوية عين زميت كانت بين مدينة تونس وباجة وزاوية أبي الحداد وزاوية المنهلة وزاوية

1 - عبد العزيز الدولاتي: المرجع السابق، ص141.
2 - محمد العروسي المطوي: المرجع السابق، ص ص 594-595.
3 - عبد العزيز الدولاتي: المرجع السابق، ص141.
4 - محمد العروسي المطوي: المرجع السابق، ص595.
5 - الزركشي: المصدر السابق، ص136.
6 – ابن أبي دينار: المصدر السابق، ص147.

أبي قرناطة بالمكان المعروف قفصة وتوزر وزاوية بسكرة وزاوية التومي وقام بإحداث الزاوية التي بدار صولة[1].

وأنشأ الزاوية التي بسيجوم وسماطا للمقيمين والواردين[2]، وأوقف عليها حبسا قويا[3] وزاوية الكلاغي[4]، كما ذكر لنا إبن قنفذ القسنطيني في كتابه أنس الفقير عن الشيخ الصالح الشهير أبو مسعود بن عريف، الذي كان شيخ يعقوب بن عمران البويوسفي الذي إرتحل إلى بلده وأسس زاوية هناك[5] وزاوية أبو زكرياء يحي الزواوي من أقطار بجاية وأسس هذه الزاوية وكانت له بركة فإنتفع الخلق على يديه وعند وفاته دفن بزاويته[6] وزاوية أبي الفضل قاسم بن محمد القرشي القرطبي وهذا الفقير الذي ظهرت عليه البركات وفاضت عليه الخيرات وكانت هذه الزاوية أكثر شيوعا في بجاية[7].

ونرجع إلى تونس حيث أمر الأمير أبي عبد الله المنتصر لبناء زاوية الشيخ أحمد بن عروس وزاوية سيدي قاسم الزليجي[8] أنه كان يحظى بتقدير الحفصيين حتى أن بعضهم دفن بجوار قبره داخل الزاوية التي شيدها بنفسه[9].

د - المكتبات:

هي مؤسسات تعليمية ومصدر من مصادر المعرفة،حيث تحفظ فيها العلوم وثمار خيرات السابقين، وهنا كان إهتمام المسلمين بالمكتبات، ودور العلم لإسهاماتها في تطور الحركة الثقافية عامة، والعلمية والأدبية خاصة.

لقد كانت المكتبات في هذه العصور تحتوي على بعض المخطوطات، بغض النظر عن المكتبات الغزيرة الكتب، في بعض الأحيان والتابعة لبعض الخواص، فإن المكتبات

---

1 - الزركشي: المصدر السابق، ص136.
2 - ابن أبي دينار: المصدر السابق، ص146.
3 - محمد العروسي المطوي: المصدر السابق، ص592.
4 - سليمان مصطفى زبيس: المرجع السابق، ص75.
5 - أبو العباس احمد الخطيب ابن قنفذ القسنطيني، أنس الفقير وعز الحقير، تص: محمد الفاسي وأدولف فور،(د ط) (د ج)، مطبعة أكدال، الرباط، 1965م ،ص40.
6 - الغبريني: المصدر السابق، ص135-136-137-138.
7 - نفسه، ص ص161-162-163.
8 - معنى الزليجي: كان يتعاطى صناعة الزليج البارز انظر سليمان مصطفى زبيس: المرجع السابق، ص75.
9 - عبد العزيز الدولاتي: المرجع السابق، ص142.

الموجودة في المساجد، والزوايا، والمدارس، كانت تقوم بدور إجتماعي هام، لأنها كانت تساعد على نشر المعارف لدى جمهور أوسع[1].

ولقد إعتنى وإهتم أمراء الدولة الحفصية بإنشاء المكتبات، وكان أول من قام بذلك هو السلطان أبو زكريا الأول، وأول مكتبة أثبت وجودها التاريخ بتونس بعد مكاتب القيروان في عهده، وهي مكتبة قصر القصبة التي ضمت ستة وثلاثين ألف مجلدا، التي بذل فيها أبو زكرياء جهودا عظيمة في تكوينها وتوسيعها، وحسن إختيار عناصرها، فكان يوسع دائرة الجمع والانتقاء من أقصى المغرب إلى المشرق وكان يهتم بالأصول الجيدة الصحيحة المتقنة من كل كتاب[2].

وكانت تحت رعاية المحافظ الحسن بن معمر الطرابلسي الذي عزله المستنصر[3]، ثم إسترجع خطته في عهد الواثق، فلاحظ أن عدة آلاف من الكتب أتلفت بسبب المطر وأيدي البشر، وقد دامت هذه الخزانة مدة طويلة إلى غاية أوائل سنة (717 هـ/1317م)، عندما عزم إبن اللحياني على الفرار، قام ببيع تلك الكتب التي جمعها أبو زكريا في الوراقين، مع الأشياء الثمينة في القصر[4].

كما ذكر أمر إنشاء يحي بن الملك إبراهيم في ملك والده في حدود سنة 680 هـ المكتبة المنشأة في المدرسة المعرضية، وهي أقدم المكاتب العامة التي ثبت ذكرها في العهد الحفصي وزودها بكتب نفسية في كل فن من فنون العلم[5] ولقد جددت خزانة الكتب التي كانت موجودة بقصر القصبة بعد النكبة التي ألمت بها.

كما تأسست شيئا فشيئا بمدينة تونس في أيام أبي العباس وأبي فارس فقد قام السلطان الأخير بتهيئة مكتبة عامة بالمجنبة الهلالية بجامع الزيتونة مشتملة على أمهات الكتب و الدواوين والتي جلبها من القصر السلطاني وأودعها في المكتبة وأوقفها على الطلبة ينتفعون منها بالنظر[6].

---

1 - روباربرنشفيك: المرجع السابق، ص384.
2 - محمد الفاضل: المرجع السابق، ص258.
3 - روبار برنشيفيك: المرجع السايق، ص385.
4 - ابن أبي دينار: المصدر السابق، ص134.
5 - روبار برنشيفيك: المرجع السابق، ص384.
6 – محمد العروسي المطوي: المرجع السابق، ص596.

والنسخ بشرط ألا يخرج منها أي كتاب خشية أن تضيع وجعل لها قيمين[1] يقومون برعايتها ونفضها ومناولتها للمطالعين والمراجعين وأوقف على المكتبة المذكورة اوقافا تصرف منها أجرة القيمين بما يكفيهم ويصرف الباقي على الكتب ولوازمها ولكن ذكر الشماع أن كتب هذه المكتبة كانت بقصر الملك بالقصبة[2].

وإقتدى سلاطين بني حفص من بعد بأبي فارس في جعلهم رحاب جامع الزيتونة مقرا لما أحدثوا من خزائن الكتب[3]، ومن هؤلاء الأمير أبي عمروا عثمان (839 هـ/1435م) الذي قام بإقامة خزانة الكتب بمقصورة سيدي محرز بن خلف شرقي جامع الزيتونة[4] وحبس فيها أمهات الدواوين في العلوم الشرعية واللغة والطب والتاريخ والحساب وغير ذلك وأوقف عليها وقفا مؤبدا[5]،وتلك من صنع الملك عثمان وصنيع حفيد إبنه الملك أبي عبد الله محمد بن الحسن (932هـ/1525م) فأسس مكتبة جعل مقرها في الرواق الشرقي لجامع الزيتونة في بناء أحدثه لذلك، وتسمى هذه المكتبة باسم المكتبة العبدلية نسبة إلى مؤسسها عبد الله[6]، وإشتملت خزائنها على أنفس الكتب وبلغ عددها 36 ألف مجلد في القرن الثامن الهجري 14م[7]، ولكن هذه الأخيرة لم يبق لها الأثر بعد الإحتلال الإسباني على تونس[8].

3- الرحلات العلمية:

لقد رفع أبناء الدولة الحفصية منار الحضارة والتقدم في عديد الميادين، فاستطاعت أن تجلب إليها سمعتها الذائعة، عزم أهل الرحلة والسياحة، لإستطلاع مظاهر عظمتها وتحكمت في هذه الرحلات عدة دوافع منها الرغبة في طلب العلم، و طلبا للاستزادة بالإستفادة من العلماء والأدباء والفقهاء وغيرهم ممن ذاع صيتهم في البلاد الإسلامية وهناك من إنتقلوا إلى المشرق بدافع ديني لأداء مناسك الحج، و في بعض الأحيان تحكمت

1 - محمد الفاضل بن عاشور: المرجع السابق، ص261.
2 - محمد العروسي المطوي: المرجع السابق، ص595.
3 - محمد الفاضل بن عاشور: المرجع السابق، ص261.
4 - الزركشي: المصدر السابق، ص136.
5 - بن أبي دينار: المصدر السابق، ص137.
6 – الزركشي: المصدر السابق، ص136.
7 – محمد الفاضل بن عاشور: المرجع السابق، ص161.
8 – أحمد بن أبي عامر: المرجع السابق، ص67.

فيها ظروف سياسية للإستكشاف، وكانت رغبة هؤلاء الرحالة كبيرة في إكتساب المعرفة العلمية، ونذكر من بين هذه الرحلات:

أ- رحلة عبد الله التجاني: أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد التجاني من أشهر علماء التاريخ في العهد الحفصي[1]، وكان رئيس كتبة الأمير زكرياء اللحياني ورفيقه في الأسفار وصاحبه في رحلته في جهات تونس وليبيا، من منتصف سنة (706 هـ/1306م) إلى سنة (708هـ/1309م)[2].

وقد ترك لنا عبد الله التجاني وثيقة تاريخية جغرافية وعلمية على غاية من الدقة تناول فيها مسائل الجغرافيا، ومسائل التاريخ الطبيعي، وبوجه خاص التاريخ البشري[3] إنطلق التجاني من مدينة تونس في موكب الأمير زكرياء بن اللحياني، وتجول في الساحل التونسي، يشهد فيه معالم الحضارة القديمة والحديثة، فمن باشو إلى سوسة إلى صفاقس إلى قابس، وجزيرة جربة ومنه الولوج إلى الواحات الجنوبية ومن ثمة إلى طرابلس فمسراتة وأخيرا العودة إلى الوطن محملا بأخبار وآراء في شان البلاد التي زارها، والطرق التي إجتازها، والناس التي تباينت أحوالهم وعاداتهم[4](أنظر الملحق رقم:03).

ودون عبد الله التجاني في رحلته، وصف القرى والمدن وصفا دقيقا والتعريف بالنابغين من أبناءها من فقهاء وعلماء وأدباء وقواد قدامى ومعاصرين، إضافة إلى وصفه للمعالم والمعاهد والمؤسسات التعليمية[5].

ب- رحلة العبدري:

تميز أبا عبد الله العبدري، بكفائته العلمية، وسعة إطلاعه، وخبرته الأدبية، وهو مغربي متأثر ببيئته، مسلم محافظ على عقيدته[6].

1 - أحمد بن عامر: المرجع السابق، ص69.
2 - حسن حسني عبد الوهاب: المرجع السابق ، ص138.
3 - محمد محفوظ: تراجم المؤلفين التونسيين، ط1، ج1، دار الغرب الإسلامي بيروت، لبنان،1982م ،ص209.
4 - حنا الفاخوري: تاريخ الأدب العربي في المغرب ، ط1 ، (د ج) ، دار الأمانة ، الجزائر، 1982م ،ص286.
5 - روبار برونشفيك: المرجع السابق، ص417.
6 - محمد بن شقرون: المرجع السابق، ص86.

زار العبدري تلمسان ومليانة والجزائر وبجاية، وغيرها من المدن ووصفها وصفا دقيقا متطرقا لكافة الجوانب، التي تلم بحضارة المغرب الإسلامي (جبال، حصون وقلاع زوايا ومدارس، وترجم للشيوخ)[1](أنظر الملحقان رقم:04-05).

تحدث العبدري في رحلته عن شهيرات الأدبيات التونسيات، في العصر الحفصي وذكر منهن زينب بنت إبراهيم التجاني، وتناول في رحلته أعلام البيت التجاني من علماء وأدباء ورحالة وفقهاء[2].

وإلتقى بعلماء بجاية نذكر منهم: الفقيه الخطيب المسند أبي عبد الله الكناني الشاطبي[3].

ج- رحلة خالد البلوي:

وهو خالد بن عيسى بن أحمد بن إبراهيم بن أبي خالد البلوي القتوري، كان خطيب اللسان، حسن السمت، ملتزما، مصيبا لهدف البلاغة[4].

حج وقيد رحلته في سفره وصف فيها البلاد ومن لقي بها، وكتب بتونس عن أميرها قليلا، والذي أصبح قاض ببعض الجهات الشرقية من الأندلس[5].

وقد أقام خالد البلوي بتونس بعض السنين ورحلة مسماة " تاج المفرق في تحلية علماء المشرق"، وكتبها خلال النصف الأول من القرن 8هـ[6].

د- رحلة ابن رشيد الفهري:

الوارد على تونس في نهاية القرن 7 هـ ورحلته المسماة " ملء الغيبة لما جمع في الوجهة الوجيهة إلى الحرمين الشريفين مكة وطيبة "، وفي رحلته هذه، زار المدرسة الشماعية، فإستفاد ونهل منها علما ومعرفة فذكرها في رحلته ، ووصف مجالسها وترجم لشيوخها[7].

---

1 - محمد العبدري البلنسي: المصدر السابق، ص ص22-23.

2 - أبو محمد عبد الله بن احمد التجاني: رحلة التجاني (تونس طرابلس 706 - 708هـ)، تق: حسن حسني عبد الوهاب، (د ط)، (د ج) الدار العربية للكتاب: تونس، 1981م، ص ص45-46.

3 - أحمد سليمان: تاريخ المدن الجزائرية، (د ط)، (د ج)، دار القصبة، الجزائر، 2007م، ص112.

4 - المقريزي: المصدر السابق، ص222.

5 - أحمد بابا التنبكتي: نيل الابتهاج بتطريز الديباج، إ و تق : عبد الحميد عبد الله الهرامة ، ط1، ج 21 ، منشورات كلية الدعوة الإسلامية ، طرابلس ــ ليبيا ، 1989 ، ص 173 .

6 - محمد بن محمد الأندلسي الوزير السراج : المصدر السابق ، ج 1، ص 59 .

7 – نفسه، ص ص58-59 .

هـ- رحلة الغرناطي:

نور الدين أبو الحسن علي بن موسى بن محمد بن سعيد الغرناطي ولد بقلعة بني سعيد سنة (610 هـ/1255م)، وتوفي بتونس (685 هـ/ 1286م)، له رحلتان منهما رحلة مع أبيه للمشرق زار فيها مصر، الحجاز، دمشق، بغداد وحلب ولقي في رحلته عددا من العلماء وأخذهم عنهم ثم رجع إلى تونس، واتصل بالمستنصر الحفصي[1].وألف عدة كتب أشهرها " المشرق في أخبار المشرق" و" المغرب في حلى المغرب"[2].

وشهدت بلاد المشرق توافد عدة رحالة من الدولة الحفصية نذكر منهم:

- العالم الجليل والفقيه الأصولي الشيخ أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الفهري الأصولي (ت 612هـ /1215م) الذي رحل إلى بلاد المشرق لطلب العلم وولي قضاء بجاية ثلاثة مرات[3].

- الشيخ أبو علي عمر بن احمد العمري البجائي (660هـ/1261م) رحل إلى المشرق لأداء مناسك الحج وطلبا للاستفادة والمعرفة في أصول الدين وعلوم الفقه والتقى بعدة شيوخ وعلماء وفقهاء ثم رجع إلى موطنه بجاية ودرّس فيها[4].

- الشيخ أبو علي ناصر بن أحمد عبد الحق المشذالي (ت731هـ/1330م): رحل إلى المشرق الشام و كذا مصر[5]، لقيا في مصر عدة شيوخ منهم عز بن عبد السلام فإستفاد من العلوم الدينية، وكان المشدالي سبباً في إنتقال كتاب مختصر ابن الحاجب في الفقه إلى سائر الأمصار المغربية[6].

- الشيخ الفقيه الصوفي أبو زكرياء بن يحي بن محجوبة القرشي السطيفي (ت677هـ/1278م) رحل إلى المشرق ولقي مشائخ منهم أبي الحسن الحرالي في الديار المصرية[7].

---

1 – أبو عبد الله محمد ابن أحمد إبن الشماع: الأدلة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية، تح وتق: الطاهر بن محمد المعموري، (د ط)، (د ج)، الدار العربية للكتاب، تونس، 1984م، ص12.

2 - محمد الفاضل بن عاشور، المرجع السابق، ص241.

3 - الغبريني: المصدرالسابق،ص200.

4 - نفسه، ص228.

5 - المهدي البوعبدلي: تراجم بعض مشاهير علماء زواوة، مجلة الأصالة، العدد14، السنة الثالثة، 1973، ص270.

6 - الغبريني: المصدر السابق، ص201.

7 - نفسه، ص119.

وهناك علماء آخرين رحالة إنتقلوا من الأندلس وتوجهوا صوب الدولة الحفصية (بجاية و تونس) منهم:

- الشيخ أبو محمد عبد الحق الأزدي الإشبيلي (ت 581هـ/1185م) رحل إلى بجاية وكان أحد قضاتها، وولي الخطبة وصلاة الجماعة بجامعها الأعظم، له تآليف عدة منها كتاب: " الإعلام بفوائد الأحكام" و" شرح مقصورة إبن زيد " وله تاريخ سماه " النبذ المحتاجة في أخبار صنهاجة بافريقية وبجاية "[1].

- أبو عبد الله محمد العبدري صاحب " الرحلة المغربية " مر على بجاية حوالي سنة (688هـ/1289م)، قال في وصفها ((ثم وصلنا إلى مدينة بجاية مبدأ الإتقان والنهاية وهي مدينة كبيرة حصنية منيعة شهيرة البرية بحرية، سنية، سرية، وثيقة البنيان، عجيبة الإتقان، رفيعة المباني، غريبة المعاني ...))[2].

1 - الغبريني: المصدر السابق، ص ص 193-194.
2 - نفسه، ص ص 165-166.

الفصـــل الثاني:

التعليم في الدولة الحفصية

1 – أنواع التعليم و مراحله.

2 – طرق و مناهج التدريس.

3 – تعليم المرأة و الإجازة العلمية

1 - أنواع التعليم ومراحله:

جاء في القران والسنة الكثير من الآيات والأحاديث التي حثت على العلم فكان أول ما نزل في القرآن هو قوله تعالى:« إقرأ بإسم ربك»[1]، فبهذا نجد أن التعليم له أسبقية في ظهوره عن الدولة الحفصية، فلقد تجلى في هذا العصر وإرتبط بالكتاتيب والمساجد والزوايا والمدارس.

كما قال أبو حامد الغزالي أن التعليم والتعلم هما أعظم العبارات في الدنيا[2].

أ – أنواع التعليم:

– التعليم الشعبي:

عندما أقبل الفاتحون المسلمون، وفي مقدمتهم الصحابة الذين عاشوا ظروف الوحي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، حملوا معه مشعل الدعوة الإسلامية التي لن تنتشر و تتجذر في المجتمعات بالتعليم، فكلما فتحوا مدينة قاموا التأسيس المساجد والمؤسسات العلمية والتربوية، بل أن هؤلاء الصحابة أخذوا على عاتقهم مهمة القيام بالتعليم ، فكانوا دعاة وفاتحين ومعلمين، وهكذا أخذ التعليم ينتشر في هذه الأقطار ومنها المغرب الإسلامي خاصة بعدما ترسخ الدين جيدا في هذه البلاد، حيث ظهرت أجيال حرصت على نقل هذه الرسالة العلمية إلى الأجيال التي جاءت بعدما، فسار التعليم بخطى ثانية جنبا على جنب مع إنتشار الإسلام .

وهذا النوع من التعليم أي التعليم الشعبي هو ضمان الحد الأدنى من المعارف الدينية التي تشيخ للمسلم معرفة الشعائر الإسلامية فهو موجه إلى كافة الناس[3].

لقد ارتبط المسجد بالتعليم منذ ظهوره في الإسلام، وإرتبط كإرتباطه بالصلاة فكما لا مسجد بدون صلاة كذلك لا مسجد بدون تعليم وحاجة الإسلام إليه كحاجته إلى الصلاة فلا إسلام بدون تعليم، فلقد كان جامع الزيتونة مسجدا للتعليم على عهد الدولة الحفصية حيث اخذ التعليم حظا عظيما بجامع الزيتونة، وكثر الإختصاص كلا فيما تهيأ له حتى برز علماء أجلة كإبن خلدون والآبي والبرزلي[4].

---

1 - سورة العلق: الآية01.

2 - أبو حامد بن محمد بن محمد الغزالي، إحياء علوم الدين،(د ط)، ج2 ، المكتبة التجارية الكبرى، مصر،(د س ن)، ص236 .

3 - السعيد عقبة: الحياة العلمية والفكرية في بجاية خلا ل القرن السابع الهجري 13م (رسالة ماجستير غير منشورة) قسم التاريخ جامعة الأمير عبد القادر ، قسنطينة ،2009 ،ص ص ،67 ،68 .

4 - الطاهر الحداد: التعليم الإسلامي وحركة الإصلاح في جامع الزيتونة، تق وتح: محمد أنور بوسنينة، (د ط)،(د ج) الدار التونسية، تونس، 1981م، ص ص19-20.

وكان التعليم في المساجد مفتوحا في وجه جميع الناس على إختلاق أعمارهم وطبقاتهم كما أن كثير من المستمعين كانوا يأتون للاستماع إلى بعض الدروس العلمية، والنصائح الأخلاقية[1]، وإستطاع بفضل مجانية التعليم كثير من الشبان الذين ينتمون إلى الطبقات الدنيا أن يلجوا باب العلوم[2] ومن الشيوخ الذين كانوا يدرسون في هذه الحلقات وعلموا الناس الأحكام الشرعية وغيرها من المواعظ أبو حسن بن علي بن محمد المسيلي الذي درس في الجامع الأعظم في بجاية[3]، وقد وصف لنا القلصادي في رحلته عند دخوله إلى تونس وقد درس على العديد من الشيوخ مثل: أحمد القلشاني[4] ومحمد بن عقاب الفقيه إمام في الفقه وأصوله وعلم الكلام وفصوله[5].

- **التعليم الإحترافي** :

التعليم الإحترافي هو ذلك التعليم الموجه إلى النشأ الذين تتراوح أعمارهم ما بين سبع سنوات، وعشرين سنة غي الغالب وحيث يتم الإعتماد في هذا التعليم على اللغة العربية الفصيحة كأداة للتواصل بين المعلمين والمتعلمين[6].

لقد إنتشرت في العاصمة مدارس بسبب الأمية، التي كانت موجودة في هذا العصر وكانت من بين هذه المدارس(المدراس الرسمية) التي وقع تأسيسها ومنها: مدرسة بالقصبة في البلاط الحفصي، التي مهمتها العناية بإبناء الأمراء، وتكوين مستخدمي الدولة ومنها مدرسة التوفيق والمدرسة العنقية، المدرسة المستنصرية، الشماعية، المرجانية والعصفورية[7].

وقد جلب لها الأمراء الأساتذة من الأندلس، ومن طرابلس وغيرها، وأسكنوا لها الطلبة وقاموا بإطعامهم، وكونوا لهم بها المكتبات، فقامت بأكبر قسط في تكوينهم تكوينا جامعيا[8].

---

1 - روبار برنشفيك: المرجع السابق، ص374.
2 - عبد العزيز الدولاتي: المرجع السابق، ص83.
3 - الغبريني: المصدر السابق، ص68.
4 - أبو الحسن علي القلصادي الأندلسي: رحلة القلصادي، تح: محمد أبو الأجفان، (د ط)،(د ج)، الشركة التونسية للتوزيع، تونس،1985م، ص115.
5 - نفسه: ص119.
6 - السعيد عقبة: المرجع السابق، ص71.
7 – هذه عبارة عن مدارس تأسست في العهد الحفصي وقد سبق ذكرها في الفصل الأول ولقد بنت بعض الأميرات وهي الأميرة عطف المدرسة التوفيقية (التوفيق) .
8 – أحمد بن عامر: المرجع السابق، ص65 .

وقد تأسست بعناية السلطان أو بعض رجال الدولة، مدارس في مدينة تونس وفي بعض المدن الأخرى، وقد كان المدرس يعين عادة وربما وجوبا من قبل السلطة العليا ومن المدارس نجد أن المدرسة المعرضية من النماذج التي جلب لها أبو زكرياء بن إسحاق الأول عدد كبير من الدارسين على حساب دور التعليم الأخرى، وهي طريقة قابلة للإعتراض، وهي في مستوى النزاهة الفكرية، وقد وزع على الحاضرين قرطاسين ذهب وفضة وأجرى على المدرس قدرها عشرة دنانير في الشهر وكان يحضر مجلس الوعظ يوم الإثنين والجمعة، ويطلق العنبر والعود مادام المجلس. وجعل بين دار سكناه والمدرسة طاقة يسمع منها ما يقرأ[1].

ومن الشيوخ الذين كانوا في التعليم الإحترافي أبو مدين شعيب (594هـ - 1198م) كان يدرس التصوف للطلبة تعليما تربويا معتمدا على العديد من المصادر الصوفية[2] ومن علماء بجاية الذين إشتغلوا بالتعليم الفقيه أبو تميم ميمون اليردوي (584هـ - 1188م) الذي كان يدرس الفقه، وأصول الدين على طلبة بجاية[3].

ومن المدرسين الذين قاموا بالرحلة العلمية للإستزادة وملاقاة أكابر الشيوخ والرجوع إلى بلدهم للتدريس، ومن هؤلاء العلماء الذي أثنى عليه إبن خلدون كثيرا الفقيه أبي علي ناصر الدين المشدالي الذي إرتحل من بجاية إلى المشرق، وأدرك تلميذ أبي عمرو بن الحاجب واخذ عنهم ولقن تعليمهم، وقرأ مع شهاب الدين القرافي في مجلس واحدة وحذق في العقليات والنقليات، ورجع إلى المغرب بعلم كبير وتعليم مفيد. ونزل بجاية وإتصل سند تعليمه في طلبتها[4]، وأيضا أبو محمد عبد الله بن أحمد عبد السلام الذي عرف بإبن الطير من أهل افريقية قرأ بحاضرة تونس، وإرتحل إلى المشرق ورجع إلى افريقية وولى قضاء بجاية وله باع بالفقه وأصوله وكان يقرأ عليه مدة مقامه بها، إستفاد منه الطلبة الخواص يقرؤون عليه الفقه وأصوله[5].

---

1 - روبار برنشفيك: المرجع السابق، ص377.
2 - الغبريني: المصدر السابق، ص58.
3 - نفسه: ص184.
4 - إبن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص523.
5 - الغبريني: المصدر السابق، ص194.

ولنجعل الغبريني نموذج لمعرفة الشيوخ الذين درسوا هذا النوع، فنجد منهم فقهاء وأدباء وأطباء التي كانت تزدان بهم بجاية وتونس ومنهم: أبو محمد عبد الحق بن ربيع البجائي أبو فارس عبد العزيز بن عمر بن مخلوف، أبو العباس أحمد بن عيسى بن عبد الرحمان الغماري وأبو القاسم إبن أبي بكر اليمني إبن زيتون وغيرهم من الفقهاء والعلماء والمدرسين في هذا العصر[1].

ب - مراحل التعليم في الدولة الحفصية:

لم يكد القرن الثاني الهجري يطلع في كل ناحية من نواحي المجتمع الإسلامي إبتداءً من الكتاتيب التي تعلم الأطفال والصبيان، إلى المدارس العليا التي تعلم الكبار، وقد إزدهرت الحضارة الإسلامية بسبب دقة هذا النظام وانتشاره، فكانت تلك التربية محققة لروح الإسلام[2].

وكانت المراحل التي مرّ بها التعليم هي:

- **المرحلة الأولى (الإبتدائي)**: هي الكتاتيب وتلاميذها الأطفال، والمواد التي تدرس بها تتمحور حول القراءة و الكتابة وحفظ القرآن[3] وترتيل بعض السور[4].

وعرفت بإسم الكُتّاب[5]، وقد كانت الكتاتيب حيث يلقن الصبية مبادئ العلوم اللغوية والقرآنية هي المرحلة الأولى للتعليم[6]، وقد إعتمدت بيداغوجية التدريس على حفظ القرآن، وكتابة سوره على الألواح في مرحلة أولى، ويتولى المؤدب ذلك، مستعينا بعريف عندما يتجاوز عدد التلامذة الثلاثين[7].

وأما عن أهم المواد في هذه المرحلة (الأولى) التي كانت تدرس في الكتاب، فهو القرآن الكريم، لأنه أصل التعليم الذي ينبني عليه ما يحصل من الملكات حسب تعبير إبن خلدون.

---

1 – الغبريني: المصدر السابق، ص ص 29-30 .

2 – محمد بن سحنون: آداب المعلمين: تق و تح: محمود عبد المولى، (د ط)، (د ج)، مطبعة الرأي الجديد، الجزائر، (د س ن)، ص7.

3 – إسماعيل سامعي: معالم الحضارة العربية الإسلامية، (د ط)،(د ج)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،2007م ص301.

4 – روبار برنشفيك: المرجع السابق، ص374.

5 – نفسه: ص375.

6 – عبد العزيز الدولاتي: المرجع السابق، ص83.

7 – خليفة الشاطر وآخرون: المرجع السابق ص150.

ويبدوا إن المعلمين قد إختلفوا في طريقة تدريس القرآن الكريم للصبيان في الأقطار الإسلامية، وهذا ما أكده إبن خلدون حيث إن أهل المغرب يقتصرون على التعليم القرآن فقط، وما يتعلق به من مسائل، ولا يخلطونه بغيره من العلوم كالحديث والفقه، والشعر أما أهل أفريقية فيخلطون تعليم القرآن الكريم بالعلوم الأخرى فطريقتهم قريبة إلى طريقة أهل الأندلس[1] وأجار الفقهاء عقاب الطفل إذا استحق العقاب، لكن لا يجوز عقاب الإنتقام حتى لا يلحق بالمتعلمين ضرر، وأن يتدرج المعلم في العقاب، ولا يزيد في ضربهم إذا احتاجوا إليه على ثلاثة أسواط، لأن هذا المكان ليس بموضع الغضب والإنتقام وإنما هو موضع التأديب والتهذيب.

وكان يوجد للصبيان نوعان من المعلمين في هذه المرحلة الأولى يدعى المعلم الملقن وهو المكلف بتلقين الأطفال القرآن الكريم دون كتابته في الألواح، تنزيها لكتاب الله عز وجل من عبث الصبيان، والثاني المعلم المكلف بتعليم الصبيان الخط حيث كان يكتب خط نموذجيا، يقوم الصبيان بتقليده[2].

وبعدها ينتقل التلاميذ إلى تلقي علوم أعمق، وأوسع في ثلاث مؤسسات مختلفة هي الجامع والزاوية والمدرسة[3].

- **المرحلة الثانية**: تبدأ هذه المرحلة بعد إنتهاء مباشرة من الكُتّابْ، وتدرس في المساجد والرباط والمكتبة والمجالس التي تعقد في دور الأمراء والعلماء وتلاميذها اكبر سنا وتدرس بها مختلف العلوم الشرعية و العقلية و الطبيعية والإنسانية وهي مجانية وكان لنظام الحلقات و المجالس دور كبير في هذه المرحلة فقد تعددت المجالس وتنوعت الحلقات فهناك مجالس الفقه، والتفسير أو مجالس المناظرة ومجالس التعليم والأدب ومجالس التصوف[4].

وتعتبر المرحلة الثانية هي المرحلة الانتقالية من الكتاب، وقد عدت هذه المرحلة بمثابة المرحلة الثانوية العليا في التدريس ومنذ العصر الحفصي تصدر جامع الزيتونة

1 - إبن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص ص700– 701- 702.
2 - السعيد عقبة: المرجع السابق، ص ص 74- 75– 76 .
3 - روبار برنشفيك: المرجع السابق، ص376 .
4 - إسماعيل سامعي: المرجع السابق ، ص301 .

بتـــونس كل المؤسسات التعليمية مستقطبا بذلك الحركة الثقافية والعلمية[1].

وكان شبان البادية الراغبون في مزاولة الدراسة يتحولـــون وحـــسب المـــستطاع إلى الزاوية أو إلى المدينة القريبة ليعيشوا بها[2].

وكان الشيوخ والمدرسون في هذه المرحلة يراعون المستويات العلمية للطلبة بحيث يقسمونهم إلى مجموعات، عكس المرحلة الأولى في الكُتّابْ الذي يعتبر الفصل بين الصبيان أمرًا منهيا عنه ،حيث كان لأني عبد الله محمد القلعي (673هـ - 1275م) قسمين من الطلبة قسم يضم الطلبة النجباء ،يلقي عليهم دروسا في النحو واللغة وقسم ثاني يضم عامة الطلبة ويشيد الغبريني بهذه الطريقة، حين يقول أنه لازمه أكثر من عشر أعوام في القسم الأول وإستفاد منه كثيرا[3].

وقد تصدر في التدريس أيضا إبن عرفة الذي قضى نصف قرن أو يزيـــد يعلـــم التفسير وختم القرآن تفسيرا عدة مرات، وقد درس بن عبد البر التنوخي الصحاح، وإشتهر بتعليم الحديث إبن عبد السلام، وإبن عرفة والذي كانت له أمالي في الحديث، وكان يعلـــم الموطأ والصحيحين والشفاء[4].

- المرحلة الثالثة المشيخة (العلمية):

تعتبر هذه المرحلة آخر المراحل في التعليم، وهي أهم مرحلة يترقى فيهـــا الطالـــب إلى درجة كبيرة، ونجد في هذه المرحلة أنه لا يمكن تحديد نهايتها.

وكانت تقام هذه المرحلة عن طريق الرحلة كما قال إبن خلدون: «عن طريق الرحلـــة في طلب العلوم، ولقاء المشيخة مزيد كمال في التعليم حيث يكون الوصول إلـــى مرحلـــة حيث يكون تلقي" تارة علما وتعليما ولقاء وأخرى محاكاة وتلقينا بالمباشرة، فنجد أن الطلبة يلتقون بالمشايخ إلا أن الطلبة يستفيد ولتكون أكثر رسوخ وإستحكام، هذه الرحلة كان لابـــد منها لاكتساب الفوائد والكمال بلقاء المشايخ ومباشرة الرجال»[5].

---

1 - خليفة الشاطر و آخرون: المرجع السابق، ص150.
2 - روبار برنشفيك: المرجع السابق، ص376 .
3 - الغبريني: المصدر السابق، ص94.
4 - وسيلة بلعيد بن حمدة: المناهج وطرق التعليم لدى المربيين التونسيين، مجلة جامعة الزيتونة، العدد3،1994م، ص ص145-146.
5 - إبن خلدون: المقدمة: المصدر السابق، ص305.

وكان الدارسون عند تقدمهم في الدراسة يحضرون الحلقات العلمية التي كانت تعد بالمساجد الكبيرة كالمسجد الأعظم ببجاية، وجامع الزيتونة بتونس[1].

وقال إبن خلدون:« فنجد أن المشيخة عبارة عن مرحلة لإكمال التعليم لمن يشاء مثل ما فعل القاضي أبو القاسم بن زيتون لعهد أواسط من المائة السابعة، ارتحل إلى المشرق فأدرك تلميذ إبن الخطيب وأخذ عنهم ولقن تعليمهم، وحذق في العقليات والنقليات ورجع إلى تونس بعلم كبير، وتعليم حسن وجاء على إثره من المشرق أبو عبد الله شعيب الدكالي كان قد أرتحل إليه من المغرب فأخذ عن مشيخة مصر ورجع إلى تونس، وإستقر بها وكان تعليمه مفيدا، فأخذ عنهما[2] أهل تونس».

وإتصل سند تعليمهما في تلاميذهما جيلا بعد جيل، حتى إنتهى إلى القاضي محمد بن عبد السلام، شارع إبن الحاجب، وتلميذه، وإنتقل من تونس إلى تلمسان إبن الإمام وتلميذه فإنه قرأ مع إبن عبد السلام، على مشيخة واحدة، وفي مجالس بأعيانها وتلميذ إبن عبد السلام بتونس، وإبن الإمام بتلمسان لهذا العهد إلا أنهم من القلة، بحيث يخشى إنقطاع سندهم، ثم إرتحل من زواوة في آخر المائة السابعة أبو علي ناصر الدين المشدالي إلى المشرق، وأدرك تلميذ أبي عمرو بن الحاجب وأخذ عنهم ولقن تعليمهم وقرأ مع شهاب الدين القرافي في مجالس واحدة، وحذق في العقليات والنقليات، ورجع إلى المغرب بعلم كبير وتعليم مفيد[3].

ونفهم من كلام إبن خلدون إن هذه المرحلة كانت تعتمد على الرحلة العلمية للإستزادة في العلوم وملاقاة أكابر الشيوخ والفقهاء والعلماء.

1 - الغبريني: المصدر السابق، ص25.
2 - عن القاضي إبن القاسم بن زيتون وأبي عبد الله بن شعيب الدكالي.
3 - إبن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص523.

2 - طرق ومناهج التدريس:

نجد أن التعليم مر بمراحل وإختلفت فيه طرق التدريس في مراحله:

ففي أول ما يعلم به الأطفال هو القرآن، كما قال إبن خلدون:« أعلم أن تعليم الولدان للقرآن شعار من شعائر الدين»[1] وقال أيضا أنه « إختلفت طرقهم في تعليم القرآن للولدان بإختلافهم ما ينشيء عن ذلك من الملكات» ومما لاحظنا أن المراحل كانت بالتدريج كما قال إبن خلدون« أعلم تلقين العلوم للمتعلمين أنما يكون مفيدا إذا كان على التدرج شيئا فشيئا وقليلا قليلا، يلقى عليه أولا مسائل من كل باب من الفن هي أصول ذلك الباب ويقرب له في شرحها على سبيل الإجماع، ويراعي في ذلك قوة عقله وإستعداده لقبول ما يورد عليه حتى ينتهي إلى آخر الفن، وعند ذلك يحصل له ملكة في ذلك العلم إلا أنها جزئية وضعيفة، وغايتها أنها هيأته لفهم الفن وتحصيل مسائله، ثم يرجع به إلى الفن ثانية فيرفعه في التلقين عن تلك الرتبة إلى أعلى منها، ويستوفي الشرح والبيان، ويخرج عن الإجمال ويذكر له ما هنالك من الخلاف ووجهه، إلى أن ينتهي إلى آخر الفن فتجود ملكته ثم يرجع وقد شدا فلا يترك عويصا ولا مبهما ولا منغلقا إلا وضحه وفتح له مقفله فيخلص من الفن وقد إستولى على ملكته»[2].

كان المؤدب يعلم الأطفال القراءة والكتابة، وترتيل بعض السور التي كانوا يرددونها بصوت واحد.

ولقد كانت العقوبات البدنية متكررة، فكان المؤدب يضرب الطفل الذي يرتكب خطأ بلوحة الكتابة أو بالعصا، وإذا كانت الحالة أخطر يضربه بالسوط أو يسدد إليه ضربات على باطن قدمه بواسطة " الفلقة "[3]، وقد كانت مثل تلك العقوبات لا تخلو من خطورة بالنسبة إلى الأطفال المعاقبين[4].

---

1 - إبن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص ص700-701.

2 - نفسه، ص695.

3 - الفلقة: هي نوع من أنواع الضرب على باطن القدمين ويضرب بها المدرس الطفل ليحفظ القرآن وهي عبارة عن عقوبة .

4 - روبار برنشفيك: المرجع السابق، ص375.

وكانت طريقتهم في التدريس أقرب بطريقة أهل الأندلس[1] في بجاية تختلف بإختلاف الشيوخ الذين كان يقرأ عليهم، فمنهم من كان يعتمد على الطريقة التقليدية، ومنهم من كانت طريقته تعتمد على الحوار والمناقشة والتعمق في البحث والتعليل كأبي عبد الله محمد بن الحسن بن علي القلعي أن منهجه كان له درس يحضره من الطلبة فضلاؤهم ونبهاؤهم، وتجري فيه المذكرات المختلفة في التفسير والحديث وأبيات الغريب وغيرها وتمضي في ذلك المعاني المنقحة مالا يكاد أن يوجد مثله في نوادر الكتب، وكان قويا في التصريف وفي التعليل، جاريا فيه على سنن أبي الفتح بن جني.

وكان لتعليم أصول الفقه وأصول الذين طريقتان هما: طريقة الأقدمين، وهي طريقة أبي المعالي وغيره وطريقة المتأخرين وهي طريقة الفخر الرازي وكان أبو العباس احمد بن خالد يؤثر الطريقة الأولى على الثانية بينما كان أبو العباس أحمد بن عيسى الغماري يؤثر الثانية، ويتعصب لها وكان أسلوبه في التدريس يعتمد على النقاش والحوار والجدل، فكان يقرئ التهذيب والجلاب، فيكثر البحث، وتحتد القرائح، ويجيء بالمسألة الخلافية فيرتضي أحد وجهيها فيبحث عليه إلى أن يظهر الرجحان ويقع التسليم، ثم يأخذ في الطرف الآخر ويلزم أصحابه ما كان يناظر عليه فلا يزال إلى أن يظهر في ذلك الطرف ويقع التسليم أيضا.

ولا شك أن هذه الطريقة الحوارية الفعالة تدل على تقدم أساليب التعليم في هذا العصر وعلى تطور الدراسات الفقهية واللغوية، ورواج الدراسات المنطقية على طريقة المتقدمين والمتأخرين[2]، ودخلت طريقة جديدة في الدراسة على الطريقة القيروانية وما نفرع عنها بدخول الجدل والمنطق في العلوم الشرعية[3].

وقد إنقسم برنامج التدريس، حسبما ذكر بمدارس القيروان إلى ثلاث حصص الأولى خصصت للعامة، وقد إحتوت على حصة صباحية منها تلاوة القرآن وتفسيره، والحديث والوعظ، وحكايات الصلحاء وكتب السيرة، أما المسائية فقد خصصت للإفتاء والتجويد على مرحلتين الأولى لطلبة المدينة بالمسجد، و الثانية للطلبة الغرباء.

---

1 – الغبريني: المصدر السابق، ص24.

2 – نفسه: ص29.

3 – إبن قنفذ القسنطيني: الفارسية، المصدر السابق، ص30.

أما الحصة الثانية فهي مخصصة للطلبة المبتدئين وإحتوت على شروح لكتب الفروع وحصة ثالثة إلى الطلبة الكبار الذين إنصرفوا إلى قراءة كتاب التهذيب للبرادعي[1].
وتعددت طريقة التدريس فهناك نوعين في طريقة الدراسة طريقة التدريس بالرواية : يراد بها العلوم التي يتوصل إلى معرفتها بالرواية والسماع وتقوم هذه الطريقة على أساس تدريس كتب مختلفة من شيوخ أجلاء مجازين من شيوخ مشهورين، وهكذا حتى يصلوا إلى الشيوخ الذين تلقوا محتويات الكتاب من المؤلف نفسه، بحيث يستطيعون فهم معانيه ثم بعد ذلك يلقونها على تلاميذهم تلقينا صحيحا .
أما الطريقة الثانية فهي الدراية، والتي تقوم على أساس طرح الأسئلة و المحاورة والمذاكرة حتى يفهم الطالب، أي العلوم التي يحتاج فيها إلى إستعمال الفكر والنظر والإستنباط[2].

3 - تعليم المرأة و الإجازة العلمية:

أ - تعليم المرأة: لقد ساهمت المرأة في الحياة العلمية والثقافية، فمن بينهن إشتهرت بنت أبو الطاهر عمارة بن يحي بن عمارة الشريف الحسني هذا الأديب إبنته تدعى عائشة أديبة فصيحة لها شعر[3]، وكان لها خط حسن، و يقول الغبريني في كتابه "عنوان الدراية" أنه رأى كتاب الثعالبي يخطها في ثمانية عشر جزءا، وفي خاتمة كل سفر منهم قطعة من الشعر من نظم والدها رحمه الله، إذا ختم السفر، وتم التاريخ يكتب بخط يده وقال عمارة بن يحي بن عمارة الشريف الحسني، وتكتب إبنته القطعة بخطها، وهي نسخة عتيقة، ما رأيت أحسن منها ولا أصح ولقد رأيت منه نسخا كثيرة منتقدة إلا هذه النسخة، وقد تكون هذه النسخة أصلا لهذا الكتاب، حيث كان، ويقع التصحيح منها وهذه النسخة من جملة الخزانة السلطانية ببجاية، ومن الغريب أني رأيت هذا الكتاب في سفر وأحد، رأيته في قسنطينة عند إمام جامع قصبتها وأكثر مارأيته في ثمانية عشر سفرا، وأقل ما رأيته في سفر وهو بخط بين لابأس به ومن شعر عائشة رحمها الله:

1 – خليفة الشاطر وآخرون: المرجع السابق، ص ص150-151-152.
2 – محمد الطمار: المرجع السابق، ص132.
3 – وسيلة بالعيد بن حمدة: المرجع السابق، ص149.

أخذوا قلبي وساروا وأشتياقي أودعونـــي

لا عد أن لم يعودوا فاعذروني أودعوني[1]

فبهذا نجد أنه كان للمرأة حظ في دخولها مجال العلم.

ب- الإجازة العلمية: الإجازة هي الشهادة التي يـسلمها شـيخ أو أسـتاذ إلـى طالـب أو مستجيز، وتعد الإجازة توثيقا لمعلومات صاحبها حسب الشخصية العلمية التي حررتها بـدأ بظهور نظام الإجازة خلال القرن الثاني للهجري في بلاد المشرق، والإجـازة فـي المرحلـة الأولى من التعليم عبارة عن نوع من الإمتحان ومنح الإجازات للإنتقال من مرحلة إلى مرحلة أخرى، وصيغة الإجازة:

أجيزت فلانا بحق روايتي من فلان عن فلان أو ما يشبه ذلك[2]، وقد تهافت الطلبة على إستجارة العلماء المشاهير والشيوخ الكبار، إذ كان الجميع يعتبرون دراسة الطالب للكتاب بنفسه من غير سماع على شيخ خطأ كبيرا. وتكون الإجازة في أكثـر الأحيـان خطبـة يذكر فيها إسم الطالب الملتمس للإجازة، وإسم المدرس الذي منحها إياه ، ويذكر المجيز أيضا المصنفات التي أخذها الطالب عنه، والتي يسمح له بتدريسها، كما تكون في بعض الأحيان مشافهة وإذن باللفظ، ويذكر في أغلب الأحيان كل طالب أنه أخذ عن شيخه كثير من المؤلفات ويكتبها مفصلة أو يذكر أنه تحصل على إجازة عامة، تشتمل علـى جميـع الكتب التي أخذها عن المدرس، دون ذكرها تفصيلا وهذا النوع الذي كان فـي الدولـة الحفصية يسمى بالإجازة العامة[3].

ومن الإجازات التي عرفها علماء الدولة الحفصية:

إجازة أبي جعفر الليلي العبدري الرحالة الذي قال أجازني في كل ما رواه وألفه وكل مـا تصح عنه روايته من منظوم ومنثور، إجازة عامة وكانت هذه الإجازة بتـونس إجـازة عبـد الرحمان الدباغ صاحب المعالم للعبدري بالقيروان وأيضا إجازة إبن عبد البر التتـوخي مـن علماء الزيتونة للبلوي[4].

1 - الغبريني: المصدر السابق، ص79.

2 - إسماعيل سامعي، المرجع السابق، ص ص308-309.

3 - محمد الباجي بن مامي: التعليم بجامع الزيتونة وبمدارس العلم في العهد الحفصي، المعهد الوطني للتراث، تونس، ص14.

4 - إسماعيل سامعي: المرجع السابق، ص309.

لقد كانت الإجازة يمكن لأي شيخ مثلا في أي مكان أن يمنح تلميذه عند خـــتم درس من الدروس، رخصة كتابية تسمح له بأن يقوم مكان الشيخ وبإسمه، وبتدريس كتاب معين أو جميع المواد التي كان يدرسها[1].

وتمثل هذه الإجازة الشهادة النهائية التي يتحصل عليها الطالب من شيخه في علم من العلوم، وتحرر وثيقة في ذلك بالتصلية وذكر العلم والطالب والشيخ المجيز، وكان الإقبال كبيرا وقتذاك على خطتي الإفتاء والقضاء، حتى أن البعض حاول الحصول عليها بـــأدنى جهد، دون أن تكون له معرفة باللغة، وهم الذين أطلق عليهم إبن عرفة العلماء الجهلة[2].

وتتجه لتهافت الجميع على الإجازات من الشيوخ البارزين، أصبح هؤلاء يجيزون قبـــل وفاتهم علماء عصرهم، وجل من يطلب منهم ذلك، ولدينا نمـــوذج مـــن هـــذا الـــصنف من الإجازات هو:

أبو الفضل التجاني الذي إستجاز أعلاما من سبتة، وكان ذلك بواسطة إبـــن رشـــيد الفهري ووصلت العملية إلى أن البعض أصبح يطلب إجازة له ولإبناءه.

إلا أنه يوجد بعض العلماء الذين لم يتهافتوا على الإجازات، فهذا الشيخ تاج الـــدين الغرافي الذي إلتقى به إبن رشيد بالإسكندرية رفض أن يمنحه إجازة، فقد كـــان ولوعـــه بالسماع أكثر وأحب إليه من طلب الإجازة والحصول عليها.

وكانت الإجازة تمنح شعرا أو نثرا، فمن بين الإجازات التي منحت نظما القصيدة التـــي أجازها الرصاع أحد طلبته وذلك بالمدرسة الشماعية[3].

ومن الإجازات أيضا أبو زكرياء يحي بن علي بن حسن بن حبوس الهمذاني الـــذي لقي العديد من الشيوخ من بينهم أبا مدين والفقيه أبا علي المسيلي والفقيه أبا محمد عبـــد الحق الإشبيلي، وأبا عبد الله القرشي وغير هؤلاء، وكتب للفقيه العالم أبي عبد الله محمد بن عبد الحق يستجيزه بإجازة، و أورد الغبريني في "عنوان الدرايـــة " هـــذا الـــنص:

«يرغب إلى الشيخ الفقيه الزكي المحصل الأفضل، أبي عبد الله محمد بن الشيخ الفقيه

1 - روبار برنشفيك: المرجع السابق، ص379.
2 - خليفة الشاطر وآخرون: المرجع السابق، ص ص152-153.
3 - محمد الباجي بن مامي: المرجع السابق، ص ص14-15.

الصالح الزاهد الفاضل أبي محمد عبد الحق بن سليمان اليعفري أدام الله كرامتـــه أبقـــى بركته و وصل رفعته محل قدره ومؤثر بره، الراغب في بركات دعائه و إلى تعالى في إطال بقائه يحي بن علي بن حسن بن حبوس الهمداني في الإنعام عليه بإجازة ما إشـــتمل عليه برنامج روايته عن أشياخه رضي الله عنهم وما سند عنه من قراءته و مـــسموعاته وإجازته ومناولاته وتأليفه في فنون العلم، وماله من نثر ونظم منعمـــاً ومتفـــضلا عليـــه بالإسعاف بمطلوبه من ذلك والإجابة إليه، والله عز وجل ويعينه على بره و يمتع ببركاته وبصالح دعائه والسلام الأتم، الجزيل المبارك الحقي»[1].

1 - الغبريني: المصدر السابق، ص ص220-221.

الفصـــل الثالث :

العلوم النقلية والعقلية بالدولة الحفصية

1 – العلوم النقلية.

2 – العلوم اللسانية.

3 – التصوف و العلوم الاجتماعية.

4 – العلوم العقلية و الطبيعية.

1 - العلوم النقلية:

أ - **علوم القرآن والتفسير**: يعرف علماء اللغة التفسير كمصطلح بأنه الكشف والإظهار والبيان، بحيث يصبح الكلام لا يعتريه الغموض والضبابية، والتفسير في الاصطلاح هو علم يعرف به نزول الآيات، وشؤونها وأقاصيصها، والأسباب النازلة فيها، ثم ترتيب مكيها مدنيها، محكمها ومتشابهها، وناسخها ومنسوخها و خاصها وعامها ومطلقها ومقيدها، ومجملها ومفسرها، حلالها وحرامها، ووعدها ووعيدها، وأمرها ونهيها، وأمثالها وغيرها[1].

ويقول ابن خلدون عن التفسير:" وأما التفسير، فاعلم أن القرآن نزل بلغة العرب وعلى أساليب بلاغتهم، فكانوا كلهم يفهمونه، ويعلمون معاينة في مفرداته وتراكيبه وكان ينزل جملا جملا، آيات وآيات، لبيان التوحيد والفروض الدينية، حسب الوقائع في العقائد الدينية، ومنها ما هو في أحكام الجوارح، ومنها ما تقدم ومنها ما يتأخر ويكون ناسخا له... ثم صارت علوم اللسان صناعية من الكلام في موضوعات اللغة واحتكام الإعراب والبلاغة في التراكيب، فوضعت الدواوين في ذلك، بعد أن كانت ملكات لا يرجح فيها لنقل ولا كتاب فاحتاج ذلك التفسير القران، لأنه بلسان العرب وعلى منهاج بلاغتهم[2].

وقد انقسم التفسير إلى قسمين: تفسير نقلي، وهو يسند إلى الآثار المنقولة عن السلف، وهي معرفة الناسخ والمنسوخ، وأسباب النزول وكل ذلك لا يعرف إلا بالنقل على الصحابة والتابعين، والنوع الآخر من التفسير هو الذي يرجع إلى اللسان من معرفة اللغة والإعراب والبلاغة في تأدية المعنى بحسب المقاصد والأساليب[3].

أما عن أهم الكتب التي يدرسها علماء العهد الحفصي في هذا العلم هي" الكشف و البيان في تفسير القرآن " لأبي إسحاق احمد بن محمد الثعلبي، " وأحكام القرآن" .

---

1 - محمد عادل عبد العزيز: المرجع السابق، ص96.

2 - ابن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص532.

3 - عيسى بن الذيب: الحواضر والمراكز الثقافية في الجزائر خلال العصر الوسيط،(د ط)، دار القصبة للنشر الجزائر،2007، ص ص139-140.

لأبي الحسن علي بن محمد الطبري[1]، وكذا كتاب " التحصيل لفوائد كتاب التفصيل الجامع لعلوم التنزيل " لأبي العباس احمد بن عامر المهدوي، والوجيز في شرح كتاب الله العزيز لأبي محمد بن عبد الحق بن عطية الأندلسي، و" الكشف عن حقائق التنزيل" لأبي القاسم محمد الزمخشري[2].

لقد كان أهتمام علماء بجاية كبيرا بقراء ودارسة علوم القرآن وتفسيره ،وقد ذكر الفيرتيي العديد منهم ممن كانوا مهتمين بعلم تفسير القرآن من بنيهم العالم أبي يحي زكريا الزواوصي (ت611هـ/1214م) ورس بالجامع الأعظم ببجاية علم التفسير إضافة إلى العالم الفقيه في أبو إسحاق بن العرافة البجائي (ت 675هـ/1276م) الذي فسر القرآن الكريم وقاما بتدريسية،[3] وأبو الحسن الحرالي التجيبي (ت 637هـ/1239م) قام بتفسير القرآن وألف كتابا ضمن قيه قواعد و قوانين بعنوان "مفتاح الباب للمقفل على فهم القرآن المنزل"[4]

ب- علم الفقه والحديث:

- الفقه :

و نعني بالفقه لغة العلم بالشيء و الفهم له[5] ويعرفه ابن خلدون بأنه معرفة أحكام الله تعالى في أفعال المكلفين بالوجوب والحضر والندب والكراهة والإباحة وهي منتقاة من الكتاب والسنة، وما نصبه الشارع بمعرفتها من أدلة فإذا استخرجت الحكام من تلك الأدلة قيل لها فقه[6].

ولقد شهدت الدولة الحفصية وخاصة بجاية، نهضة علمية كبيرة في العلوم الدينية خاصة الفقه، وكان للعلماء دور كبير في توجيه الطلبة إلى دراسة الفقه، والاهتمام بعلومه، كما حفلت مدارسهم ومساجدهم بالحلقات العلمية التي أولت عناية بالفقه[7]. وكان عهد أبي فارس هو عهد الفقه، وظهور المدرسة الفقهية التي اتسمت بإشعاع المعرفة

1 – عبد الرحمان بن محمدالجيلالي: المرجع السابق، ص123.
2 – أبو العباس احمد الغبريني: المصدر السابق، ص ص 25-26 .
3 نفسه ،ص137.
4 - نفسه، ص146.
5 - محمد عادل عبد العزيز: المرجع السابق، ص98.
6 - إبن خلدون : المقدمة المصدر السابق،ص484.
7 - عيسى بن الذيب: المرجع السابق، ص142.

الدينية، وبلورة أبواب الفقه المالكي[1]، وشرح دواوين أمهات الكتب الفقهية المغربية مثل موطأ الإمام مالك، والتهذيب للبراذعي، والجلاب والتلقين للقاضي عبد الوهاب البغدادي ،ومختصر ابن أبي زيد، والتفريع لابن الجلاب، ومن كتب الفقه المالكي المتداولة بكثرة كتاب أبي عمرو بن الحاجب، المعروف بالمختصر الفرعي[2].

ومن بين علماء بجاية الذين عاصروا الدولة الحفصية أبو يوسف يعقوب بن يوسف الزواوي المنجلاتي (ت 690 هـ) وكان فقيها حافظا، مستبحرا في حفظ المسائل و الفروع، له معرفة واسعة وإلمام بالفقه وأصوله، وهو ما خول له تولي وظيفة القضاء ببجاية[3]، والفقيه الشيخ محمد بن أبي القاسم بن محمد عبد الصمد المشدالي فكان يضرب به المثل فيقال " أتريد أن تكون مثل أبي عبد الله المشدالي؟"، حيث كان خطيبا بالجامع الأعظم ببجاية وإماما كبيرا مقدما على أهل عصره في الفقه[4]، إضافة إلى الشيخ الفقيه الإمام الصالح احمد بن إدريس البجائي[5]، وأبو عبد الله محمد بن إبراهيم الوغليسي وأبو العباس احمد بن الغماز الأنصاري البلنسي (619-693 هـ)، الذي ولي قضاء بجاية و لي إقامة صلاة الفريضة بجامعها الأعظم[6].

وتكونت المدرسة الفقهية برئاسة ابن عرفة[7] (ت 803هـ/1400م)[8].الذي كان إماما في مسجد الزيتونة بتونس ستة 755هـ، وخطيبا سنة 772 هـ، وصار فقيها سنة773هـ[9] وبعد تأليف ابن عرفة الفقهي من المصادر الأساسية في الفقه المالكي، وله الفضل في تخريج ثلة من الفقهاء من تلاميذته نذكر على سبيل المثال لا الحصر : أبي القاسم بن ناجي، وأبي القاسم البرزلي، وأبي العباس البسيلي، وآبي مهدي عيسى الغبريني

1 - احمد الطويلي :، ابن قنفذ القسنطيني مؤرخا للحضارة الحفصية ومشاركا فيها / مجلة سيرتا ، العدد 11 ، معهد العلوم الاجتماعية ، قسنطينة،1998، ص121.

2 – عبد الرحمان الجيلالي: المرجع السابق، ص122.

3 – مختار حساني: المرجع السابق، ص215.

4 – بدر الذين القرافي: توشيح الديباج وحلية الابتهاج، تح وتق: أبو احمد الشتيوي، ط1، (دج)، دار الغرب الإسلامي بيروت، لبنان،1983، ص25.

5 – التنبكتي: المصدر السابق، ص99.

6 – الغبريني، المصدر السابق، ص129.

7 – ابن عرفة: وهو بربري من الجنوب التونسي، تعلم بمدينة تونس، انظر محمد نيفر: المرجع السابق، ص70.

8 – احمد طويلي: المرجع السابق، ص18.

9 – الفردبيل: المرجع السابق، ص359.

وأبي عبد الله الأبي، وأبي عبد الله الرصاع [1]، فقد اخذ عن الإمام ابن عرفة جلة من أمراء تونس وفقهائها، نذكر الأمير محمد بن احمد السلطان أبي العباس احمد اخو السلطان أبي فارس عزوز ويعرف بالحسن[2].

وكان الفقه يشمل على أوسع نطاق العبادات و الشريعة ، ويحظى بعناية متواصلة من قبل الطلبة المجتهدين، وكان يلقن للطلبة المبتدئين حسب المذهب المالكي بواسطة رسالة ابن زيد القيرواني، ثم ينتقل الطلبة إلى دراسة عدد من المؤلفات الشرقية، وعلى وجه الخصوص كما ذكرنا سالفا "التفريع" لابن الجلاب، و"التلقين" لتلميذه عبد الوهاب أما الطلبة المتقدمين في الدراسة فكانوا يدرسون "مدونة سحنون"[3].

- **علم الحديث**:

الحديث هو المصدر الثاني للتشريع الإسلامي في الدولة الإسلامية[4] وهو علم تعرف به أقوال الرسول صلى الله عليه و سلم من قول أو فعل أو تقرير أو صفة، وهو مرادف للسنة كما انه أصل من أصول التشريع الإسلامي، ومرتبته تلي مرتبة القران الكريم في الاستدلال[5]، ويشمل موضوعين رئيسيين، علم الحديث رواية، علم الحديث دراية[6].

وقد أولى علماء المغرب الإسلامي على عهد الدولة الحفصية عناية كبيرة بعلم الحديث وخصوصا صحيح مسلم الذي اكبوا عليه وفضلوه على كتاب البخاري الذي درس به هو الآخر[7]، فعلم الحديث درس بكل الصحاح ماعدا ابن ماجة ، فانه لم يذكر الغبريني قي برنامجه كتاب التمهيد لابن عبد البر القرطبي ، والمنتقى للباجسي، و

1 – احمد طويلي: المرجع السابق ، ص 9 .
2 – الغبريني : المصدر السابق ، ص 92 .
3 – روبار برونشفيك : المرجع السابق ، ص 382 .
4 – بدر الدين محمد بن إبراهيم بن جماعة: المنهل الروي في مختصر علوم الحديث النبوي، تح محي الدين عبد الرحمان رمضان، ط2، (د ج)، دار الفكر، دمشق – سورية، 1986، ص16.
5 – ابن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص350 .
6 – محمد عجاج الخطيب: الوجيز في علوم الحديث ونصوصه، (د ط)،(د ج)، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية الجزائر،1989، ص7.
7 – ابن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص352.

المختار الجامع لين المتقى والاستذكار للقاضي أبي عبد الله محمد بن عبد الحق التلمساني، ومسند احمد ابن حنبل[1].

ويذكر برونشفيك أن الحديث ، يدرس في خمسين أو ست دواوين هي الصحيحان وموطأ الإمام مالك الأقرب إلى كتب الفقه الذي يحظى بتقدير بالغ لدى سكان افريقية المتعلقين بالمذهب المالكي، بالإضافة إلى كتاب المؤلف الشافعي ابن الصلاح الذي عاش في المشرق في النصف الأول من القرن 13م ، وينبغي أن تلحق بعلوم الحديث سير ابن إسحاق ، المتعلقة بحياة الرسول و الغزوات الإسلامية الأولى ، وكانت تحظى هذه السير في العهد الحفصي بتقدير كبير لدى كثير من العلماء[2].

ومما ساهم في انتشار علم الحديث بالدولة الحفصية، هو رعاية سلاطين بني حفص وتشجيعهم للطلبة، من خلال منح مكافأة لهم[3].

وفيما يخص قراءة الحديث بجامع الزيتونة، فان السلطان أبا فارس المتولي من سنة 796-837 هـ، قد أسس مجلسا لقراءة صحيح البخاري قبل العصر، وقراءة كتاب الشفاء للقاضي عياض وكتاب الترغيب والترهيب للحافظ المنذري بعد العصر، وأوقف على ذلك وفقا دائما[4].

ومن ابرز علماء الحديث في بجاية الحفصية:

أبو إسحاق إبراهيم الحاج احمد بن عبد الرحمان الأنصاري الغرناطي الذي برع في علم الحديث وكان من أهل المعرفة فيه[5].

وهناك أيضا عالم الحديث الحافظ احمد بن سيد الناس اليعمري أصيل اشبيلية إضافة إلى الشيخ احمد بن محمد القرشي أصيل غرناطة، وكلاهما نزحا من الأندلس إلى بجاية ودرسا بها بعد أن زاولا دراستهما في المشرق[6]، وقد أبرز الغبريني في مؤلفه عنوان الدراية عدة علماء برعوا في علم الحديث منهم العالم المحدث أبو بكر محمد بن سيد الناس اليعمري الاشبيلي (ت 659هـ/ 1260م) وقد كان حافظ للحديث، عارفا برجالة

1 – عبد الرحمان الجيلالي: المرجع السابق، ص123.
2 – روبار برونشفيك: المرجع السابق، ص382.
3 – الغبريني: المصدر السابق، ص311.
4 - محمد الفاضل ابن عاشور: المرجع السابق، ص 248.
5 - محمد مخلوف: المصدر السابق، ص222.
6 - روبار برونشفيك: المرجع السابق، ص301.

بأسمائهم وبتاريخ وفاتهم فمبلغ أعمارهم، وكان يقوم على البخاري قياما حسنا وكان إذا قرأ الحديث يسنده إلى أن ينتهي إلى النبي صلى الله عليه و سلم، ثم إذا إنتهى الاسناد رجع إلى ذكر رجاله فيبدأ من الصحابي رضي الله عنه فيذكر اسمه ونسبه وصفته وتاريخ وفاته، و لا يزال يتبعهم واحدًا واحداً إلى أن ينتهي إلى شيخه - وكان يستظهر عشرة آلاف حديث بأسانيدها[1] ومن علماء بجاية التي ذاع صينهم في هذا الميدان احد اكبر محدثي بجاية العالم أبو الخطاب عمر بن الحسن (633هـ/1235م) والذي صنف كتابا ضمنه رجال الحديث[2].

إضافة إلى العالم أبا زكريا يحي الزاوي (611هـ/1214م) الذي قام بالتدريس في الجامع الأعظم ببجاية علم الحديث من صحيح البخاري[3].

والعالم علي بن أبي نصر البجائي (ت652هـ/1254م) فقد كان له علو سند في الحديث،حتى أن للعلماء الأندلسيون ببجاية أخذوا الرواية عنه لقصور سندهم عن هذا السند[4].

2- العلوم اللسانية:

أ- علوم اللغة العربية (علم النحو):

لقد حظي استئثار الأدب وعلومها من بلاغة ونحو وصرف وعروض بالنصيب الأوفر في الدروس، خاصة بالمدارس التي أنشاها سلاطين بنو حفص ووزرائهم في دولتهم[5] ففي بجاية مثلا كانت هذه العلوم تدرس في كتابه "سيبويه" والإيضاح لأبي علي الفارسي "والجمل للزجاجي" و" العقد الفريد" لابن عبد ربه، و" زهر الآداب "للحصري والقانون لأبي موسى الجزولي، وأدب الكاتب لابن قتيبة ومقصورة ابن دريد[6].

---

1 - الغبريني: المصدر السابق، ص ص247،246.

2 - المقري: نفح الطيب من غصن الأندلس الطيب وذكر وزيرها ابن الخطيب ،تح: إحسان عباس ،ج2،(د ط) ،بيروت 1988،ص301.

3 – الغبريني: المصدر السابق، ص137.

4 – نفسه،ص ص142- 143.

5 – احمد طويلي: المرجع السابق، ص38.

6 – الجيلاني: المرجع السابق، ص124.

إن لعلوم اللغة العربية أهمية كبرى في مجال النشاط العقلي، فاللغة العربية هي اللغة الرسمية لأنها لغة القرآن الكريم[1].

- **النحو**: هو علم يتبين به أصول المقاصد بالدلالة، فيعرف الفاعل من المفعول و المبتدأ من الخبر[2]، ولولاه لجهل أصل الإفادة، فذلك كان علم النحو أهم من اللغة لأن في جهله الإخلال بالتفهم جملة[3]، وكانت معرفة النحو ضرورية لفهم الكتاب والسنة فهما صحيحا ولصيانة اللغة العربية فتعامل الدارسون مع كتب عدة منها "المفصل" للزمخشري[4].

وقد اهتم العلماء بهذا العلم لأنه يرتبط ارتباطا وثيقا بعلوم الدين، ثم قاموا بتدريسه، ومنهم أبو العباس احمد بن محمد المعافري، الأستاذ النحوي اللغوي[5].

كما ألف ابن عصفور في النحو حلاه باسمه فسماه "الهلالية " للقائد هلال، وهذا دليل على مكانة القائد وعلو مكانته السياسية والإدارية في الدولة الحفصية، إضافة إلى تأليفه لكتاب "المقرب " في النحو الذي ألفه بإشارة من أبي زكرياء الحفصي[6].

و من بين العلماء الذين برعوا في علوم اللغة العربية بمختلف فنونها أبو عبد الله محمد إبن الحسن إبن علي بن ميمون التميمي (ت 673هـ) الأستاذ النحوي اللغوي، إستوطن بجاية وبها قرأ و درس فبرع حيث كانت تقرأ عليه جميع الكتب النحوية و اللغوية و الأدبية من طرف طلبته و من مألفاته "الموضح في علم النحو" و" حدق العيون في تنقيح القانون[7]"،إضافة إلى محمد بن محمد بن أحمد الأنصاري أبو عبد الله بن الجنان أصيل مرسية غير أنه إنتقل إلى إفريقية و إستوطن وكان من خيرة علمائها في اللغة والأدب[8].

---

1 – الغبريني: المصدر السابق، ص270.
2 – محمد عادل عبد العزيز: المرجع السابق، ص117.
3 – ابن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص469.
4 – برونشفيك: المرجع السابق، ص383.
5 – الحفناوي : تعريف الخلف برجال السلف، ط1، (د ج)، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان،1985، ص80.
6 - محمد العروسي مطوي: المرجع السابق، ص220.
7 - المقري: المصدر السابق، ج7، ص416.
8 - الغبرني: المصدر السابق، ص ص 34-36.

ب - العلوم الأدبية (النثر والشعر):

- **النثر**: يعرفه ابن خلدون في مقدمته فيقول: النثر هو الكلام غير الموزون، منه السجع الذي يؤتى به قطعا، ويلتزم في كلمتين منه قافية واحدة، ومنه هذا المرسل الذي يطلق فيه الكلام، ولا يقطع أجزاء، بل يرسل إرسالا من غير تقييد بقافية ولا غيرها، ويستعمل في الخطب والدعاء لترغيب الجمهور وترهيبهم[1].

وتمثل ازدهار النثر الفني بما امتازت به رسائل ذلك العهد[2]، والتي حافظت على أسلوبها المستفيض والمتكلف مع استعمال اللغة الكثيرة المفردات، والقليلة التعابير المضبوطة وأساليب السجع، و القافية لم تكن كافية، فالتجأ الكاتب إلى الحشو والغموض والتكلف ولم يكن ديوان الرسائل الحفصية اقل في هذا الميدان من ديوان الإنشاء في غرناطة أو القاهرة، وكانت الرسالة القديمة التابعة للنثر الفني التي كانت تمثل الإطار الملائم للإنتاج الأدبي الحي والمتنوع للغاية[3].

وقد برز العديد من الأدباء في هذا المجال منهم محمد بن أبي القاسم التجاني، وأبو الفضل الأديب، الكاتب بديوان الإنشاء، خدم الدولة الحفصية في أيام السلطان أبي عصيدة، ثم السلطان أبا يحي زكريا بن الليحاني، ثم ابنه السلطان محمد الملقب بأبي ضربة[4] بالإضافة إلى أبو زيد عبد الرحمان بن محمد الأصولي وهو أديب وعالم جليل، انتفع الناس بعلمه، اقراءا وتأليفا في عصر السلطان أبي زكرياء يحي الثاني الحفصي[5] زمن تأليفه " نكت الناقد في الأدب"[6].

وقد وجد الأدب في المدارس الحفصية ، فسحة ليدرس خاصة تلك الكتب التي ذكرها ابن خلدون في مقدمته وقال " وسمعنا من شيوخنا في مجالس التعليم، أن أصول هذا الفن

1 - ابن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص665.
2 – احمد بن عامر: المرجع السابق، ص67.
3 - روبار برونشفيك: المرجع السابق، ص421 .
4 - محمد محفوظ: المرجع السابق، ج1 ، ص217 .
5 - نفسه، ص64.
6 - محمد نيفر: المرجع السابق، ص66.

وأركانه أربعة دواوين وهي" أدب الكاتب " لابن قتيبة، وكتاب " الكامل " للمبرد، وكتاب " البيان والتبيين " للجاحظ، وكتاب " النوادر" لأبي علي القالي البغدادي[1].

وتعد زينب بنت إبراهيم التجاني من شهيرات الأدبيات التونسيات في العصر الحفصي وقد ذكرها العبدري في رحلته عرضا، ولم يسمها[2].

- **الشعر**:

وهو الكلام الموزون المقفى[3]، وهو بليغ مبنى علي الاستعارة والأوصاف، المفصل بأجزاء متفقة في الوزن والروي، مستقل كل جزء منها في غرضه ومقصده عما قلبه و بعد، الجاري على أساليب العرب المخصوصة[4].

وقد ازدهر الشعر في عصر الدولة الحفصية وتطورت أغراضه بحيث لم يعد الشعر مقتصرا على الشعراء والأدباء فحسب، بل تعدى ذلك إلى الفقهاء والكتاب والصوفية ومنه ظهر شعر الزهد والمدح والتصوف وغيرها من الأغراض، وهذه أمثلة عن هذه الأغراض الشعرية، وإسهامات الشعراء الحفصيين فيها[5].

- **المديح النبوي**: لقد كان مدح خير الأنام سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة و التسليم يحظى باهتمام كبير من طرف الشعراء حيث نظموا عدة قصائد في شخصه. صلى الله عليه وسلم. وصفاته والإشادة بمعجزاته، ومن هؤلاء أبو بكر محمد بن سيد الناس الاشبيلى (659 هـ/1260م) الذي قال في مدحه للنبي. صلى الله عليه وسلم. والشوق لزيارة قبره، في قصيدة: (الطويل)

أيا سائراً نحو الحجاز وقصدي إلى الكعبة البيت الحرام بلاغ

ومنه إلى قبر النبي محمد يكون بالروضتين مراغ[6]

وفي نفس المعنى يقول الشاعر أبو عبد الله محمد بن الحسن التميمي (ت673هـ/1275م) (الطويل)

1 - احمد طويلي: المرجع السابق ، ص ص 38-39.
2 - التجاني: المصدر السابق، ص45.
3 - إبن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص486.
4 - نفسه، ص672.
5 - السعيد عقبة: المرجع السابق، ص155.
6 - الغبريني: المصدر السابق، ص ص 248-249.

وأني لأدعو الله دعوة مذنب عسى أنظر البيت العتيق و ألتم
فيـــا شوقي للنبي وصحبـــه ويـــا شد ما يلقـــى الفؤاد ويكتم
إليك رسول الله ارفع حاجتي فأنت شفيع الخلق والخلق هنيم
فقد سارت الركبان واغتنموا المنى وإلى من دون الخلائق محرم[1]

- **شعرا الزهد**: وتضمن الدعوة إلى الزهد و ترك الدنيا و نزواتها، والتـــذكير بـــالموت والآخرة والإقبال على العمل الصالح، ومن الشعراء الذين برعوا في هذا الغـــرض: أبـــو عبد الله محمد بن الحسن التميمي القلعي (673هـــ/1275م) الذي قال:(البسيط)

انظر لمن باد تنظر أية عجبـــا وعبرة لأولى الألباب والعبر
أين الألى جنبوا خيلامسومـــــة وشيدوا إرما خوفا من القدر
لم تعنهم خيلهم يوما وإن كثـــرت ولم تفـــــد إرما للحادث النكر
بادوا فعادوا حديثا إن ذا عجب ما أوضح الرشد لولاسيء النظر[2]

وقال أبو محمد عبد الحق الاشبيلي (ت582 هـــ / 1186م) في التهدفي الدنياو طلـــب التوبه قبل المول البسيط.

يا آمن الساحة لايذعر بين يديك الفزع الأكبر
والمرء منصوب له حتفه لو أنه من عمه يبصر
ورائد ا الموت لها طلعة ومثلها من روعة تسكر
وبين أطباق الثرى منزل ينزله الأعظم الأحقر
يترك ذو الفخر فخره وصاحب الكبر به يصغر[3]

الشعر الصوفي : وهناك نوعين منه، شعر المدرسة الصوفية

- **شعر التصوف السني**: تميز شعراء هذا التيار بالتزامهم بالقرآن والسنة وأخلاق السلف الصالح،والابتعاد عن الخوف في القضايا الفلسفية الغامضة[4]

1 - الغبريني: المصدر السابق، ص96.
2 – نفسه، ص ص 97-98.
3 – أبو جعفر احمد إبن الزبير: صلة الصلة، تح: ليفي بروفنسال، (د ط)،(د ج)، المطبعة الاقتصادية، الرباط،المغرب، 1938، ص07.
4 - الطاهر بونابي: التصوف في الجزائر خلال القرنين 6 – 7 الهجريين/ 12 – 13 الميلاديين، (د ط) ،(د ج)، دار الهدى للطباعة و النشر و التوزيع، الجزائر، 2004، ص103.

ومن أبرز رواد هذا النوع أبو مدين شعيب (ت594هـ/1198م)، الذي يبين أن غاية الصوفي الوصول إلى المعرفة الحقة بالله عز وجل فيقول (الكامل)

الله قل وذر الوجود وما حوى إن كنت مرتاد بلوغ كمال

فالكل دون الله إن حققته عدم على التفصيل والكمال

فالعارفون فنوا ولم يشهدوا شيئا سوى المتكبر المتعال[1]

- **شعر التصوف الفلسفي**: يعتمد شعر التصوف الفلسفي على الرمزية والإشارات و الإيحاءات في أشعارهم الغامضة والصعبة ، وله عدة اتجاهات من بينها اتجاه الوحدة المطلقة واتجاه وحدة الوجود[2]، ومن شعراء هذا النوع نذكر: أبا زكريا يحي بن محجوبة السطيفي (ث677ه/1278م): (الطويل)

جلت لك ليلى من ثنى نقابها طريقا وأبدت لمعة من جمالها

فكيف ترى ليلى إذا هي أسفرت ضحاء وأبدت وارفا من دلالها

وكيف بها إن لم يغب عنها شخصها ولم تخل وقتا من منال وصالها[3]

04- الوصف: لقد تناول الكثير من شعراء الدولة الحفصية شعر الوصف كغرض من الأغراض الشعرية ومن هؤلاء نجد الشاعر أبو علي حسن بن فكون القسنطيني (ت أول القرن السابع الهجري (13م)، الذي امتاز شعره بالدقة والحسن في التعبير خاصة في وصف الطبيعة وذكر جمالها(13) وقد وصف بجاية الناصرية حيث قال:(البسيط)

دع العراق وبغداد وشامها فالناصرية ما إن مثلها بلد

برا وبحر وموج للعيون به مسارح بان عنها الهم والنكد

حيث الهوى والهواء الطلق مجتمع حيث الغنى والمنى والعيشة الوغد

وحيث ما نظرت راقت وكل نوا حي الدار لفكر لابصار تتتقر

وختم قصيدته:

يا طالبا وصفها إن كنت ذا نص قل جنة الخلد فيها الأهل والولد

كما وصف قصر الربيع، وهو أحد قصور بجاية قائلا:(الطويل)

1 - السعيد عقبة: المرجع السابق، ص162.

2 - الطاهر بونابي: المرجع السابق، ص143.

3 - الغبريني: المصدر السابق، ص119.

عشونا إلى نار الربيع وإنما عشونا إلى نار الندى والمخلق
ركبنا بواديه جيادا وزوارق نزلنا إليها عن ضوامر سبق
ولما نزلت ساحة القصر راعنا بكل جمال مبهج الطرف مرتق
فما شئت في ظل وريفا وجدول وروض متى تلم به الريح يعبق
وشادى مغاني الحسن نغماته يطارحه هذر الحمام المطلوق
في حسن ذاك القصر لازال أهلا وطيب رية نشره المتنشق[1]

3- التصوف و العلوم الاجتماعية:

أ- **التصوف**: هو من العلوم الشرعية : الحادثة في الملة، واصلها العكوف على العبادة و الانقطاع إلى الله تعالى، والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها والزهد[2] ، و ومصطلح التصوف مشتق من الصفاء[3] أو من الصفة[4].

و الأصح أنها مشتقة من الصوف وهم في الغالب يختصون بلبسه[5].

وقد لقيت الحركة الصوفية ازدهارا كبيرا في بلاد المغرب وارتبط انتشارها بظاهرة الزوايا، فكانت مزدوجة المصدر بحيث أخذت عن التصوف الشرقي الذي نشره في بلاد المغرب أقطاب منهم سيدي أبي مدين وسيدي أبو سعيد (ت 1231م) وسيدي أبو الحسن الشاذلي صاحب الأحوال الصوفية، والسهرات المدرسية للأذكار والأوراد و" الحضارات " توفي بالمشرق سنة 1258م، وأصبح ضريحه على أبواب تونس جنوبا من أنشط مراكز الفرق الصوفية في افريقية، والمصدر الثاني للحركة الصوفية هو مصدر شعبي محلي بحث مثله في الغالب الأولياء الصالحين أو المرابطين[6].

و في القرن 13م كان يوجد في المدارس الحفصية الأولى صوفي هو عبد الله الشريف مما يدل على التصوف لم يكن مستبعدا من هذه المدارس[7].

---

1 - الغبريني: المصدر السابق، ص ص 281-282.
2 – ابن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص ص521-522.
3 – أبي بكر محمد بن إسحاق الكلاباذي: التعرف لمذهب أهل التصوف، ضب وتع: احمد شمس الدين ،(د ط)، (د ج)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،2001، ص9.
4 – ابن تيمية، الفرق بين أولياء الرحمان وأولياء الشيطان، (د ط)،(د ج)، دار البعث، قسنطينة، 1987، ص24.
5 – أبي القاسم عبد الكريم بن هوزان القشيري: الرسالة القشيرية في علم التصوف، شر، شيخ الإسلام زكرياء الأنصاري، (د ط)، (د ج)، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان، (د س ن)، ص126.
6 – محمد الهادي الشريف: المرجع السابق، ص ص60-61.
7 – الفردبيل: المرجع السابق، ص355.

وكان الشيخ أبو مدين أصيل مدينة بجاية أول من نشر طريقة التصوف الإمام الغزالي المعتدلة في افريقية، وان الصوفية المرابطة لم تتمركز إلا على يدي أبي الحسن الشاذلي ومقامه ذائع الصيت في العاصمة تونس.

وفي منتصف القرن(7هـ/13م) ازداد عدد المتصوفة، بحيث لا يكاد يخلو منهم حي من أحياء المدينة إلى أن أصبحت تعج بهم في القرن (9 هـ/15م)[1] ونذكر منهم، الشيخ احمد بن إدريس البجائي[2] والشيخ الصوفي أبو العباس احمد الخرازان (600 هـ/1203م)[3].

كان يدرس التصوف في كتاب " قوت القلوب " لأبي طالب المكي والرسالة المنسوبة للقشيري، وكتب أبي الفرج بن الجوزي ورسالة فضل مكة لأبي سعيد الحسن ابن أبي الحسن البصري[4].

ونتيجة لانتشار التصوف ببجاية ظهرت الزوايا وأصبحت مركز للإشعاع الروحي و الفكري[5]، و أبو مدين شعيب (ت 594 هـ/1197 م) دور في نشر التعليم ببجاية[6].

2- العلوم الاجتماعية:

- **علم التاريخ:**

يعرفه السخاوي بأنه:" فن يبحث عن وقائع الزمان من حيثية التعيين والتوقيت وموضوعه الإنسان والزمان"[7].

و يتحدث ابن خلدون في مقدمته عن فضل علم التاريخ فيقول:" اعلم أن فن التاريخ فن غزير المذهب، جم الفوائد، شريف الغاية، إذ هو يوقفنا على أحوال الماضيين من الأمم في أخلاقهم، والأنبياء في سيرهم والملوك في دولهم وسياساتهم، حتى تتم فائدة الاقتداء في ذلك لمن يرومه في أحوال الدين والدنيا"[8].

---

1 – عبد العزيز الدولاتي: المرجع السابق، ص81.
2 – ابن فرحون: المصدر السابق، ص71.
3 - ابن خلدون: بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، المصدر السابق، ص118.
4 – عبد الرحمان الجيلالي: المرجع السابق، ص124.
5 - ابن قنفذ: انس الفقير وعز الحقير، المصدر السابق، ص40.
6 - ابن قنفذ: الوفيات، جم وتص: هنري بيريس،(د ط)،(د ج)،المطبعة الثعالبية،مصر،(د س ن)،ص46.
7 - السخاوي: الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ، (د ط)،(د ج)،دار الكتاب العربي، بيروت، 1979م، ص8.
8 - ابن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص21 .

وعلى عهد الدولة الحفصية كثرت كتب التاريخ، ولعل أكثر ما اشتهر من التأليف في هذا العصر، وبعض العلماء ممن استهوتهم الدراسة التاريخية والملاحظ إن أكثرهم من الوافدين الأندلسيين منهم:

- أبو الحجاج يوسف بن محمد الأنصاري البياسي، الذي توفي بتونس سنة (653 هـ /1255م) مؤلف كتاب الحماسة وكتاب الأعلم، وقد كتب لأبي زكرياء الأول كتابا تاريخيا تحدث فيه عن الحروب الداخلية في بلاد الإسلام إلى عهد هارون الرشيد.

- أبو عبد الله محمد بن احمد بن نخيل كاتب الوالي الحفصي الشيخ عبد الواحد، وكان مولعا بالتاريخ.

- الإمام الخطيب عبد الله بن محمد بن عبد البر التنوخي (ت 737 هـ/1337م)، وقد ألف كتابا في التاريخ العام مرتب حسب السنين يشتمل على ستة مجلدات[1].

- أبو الحسن علي بن موسى بن محمد بن سعيد الغرناطي: وهو من مؤرخي العهد الحفصي الذين ذاع صيتهم مغربا ومشرقا ،واشتهرت عنه من الكتب التاريخية : تاريخ ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، والمشرق في حلى المشرق واختصار القدح العلي في التاريخ المحلي، والنفحة المسكية في الرحلة المكية[2].هذا دون أن ننسى ابرز الشخصيات المحلية الذين أنجبتهم البلاد الحفصية، وفي طليعتهم :

- أبو زيد عبد الرحمان بن خلدون ومؤلفه(كتاب ابن خلدون) بأجزائه السبع، والذي يعد أعظم كتاب في التاريخ، بحق للمغرب الإسلامي أن يفتخر به[3]، وهو بمثابة الوثيقة الأساسية المعتمدة في دراسة التاريخ الداخلي للدولة الحفصية، ويعتبر العلامة ابن خلدون أول من طرق علم التاريخ يتحر دور أي ثاقب، وكل المصادر الأخرى لا تعمد أما حدسه وعمق فهمه للقضايا التاريخية.

- ابن قنفذ القسنطيني (ت 810 هـ/1407م) ومن مؤلفاته التاريخية" الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية".

وأخيرا في تقييمنا للتراث التاريخي الذي تركه لنا العهد الحفصي نلاحظ إن ابن خلدون هو قمة هذا التراث[4].

---

1 - برونشفيك: المرجع السابق، ص405.
2 – ابن الشماع: المصدر السابق، ص ص12- 13.
3 – برونشفيك: المرجع السابق، ص 405 .
4 – ابن الشماع: المصدر نفسه، ص ص 14-15.

4- العلوم العقلية والطبيعية:

أ- الرياضيات وعلم الفلك والمنطق:

- **الرياضيات:** تعتبر الرياضيات أم العلوم التجريبية، وقد انكب المسلمون والعرب على دراستها منذ القدم، ويعرفها ابن خلدون بقوله:" وهي معرفة خواص الأعداد من حيث التأليف إما على التوالي أو بالتضعيف، ومن فروعها علم الحساب[1]، الذي كان يقرأ كتتمة للمعارف الإسلامية والعربية، التي يجب إعداد الفكر لمعرفة طرق الإنتاج العقلي فيما يحتاج منها لذلك" فكان الحساب ضروريا لمعرفة تمييز الفرائض في التركات[2]، وكان الدارسون له يقتصرون بوجه عام على المبادئ الاولية[3].وميدان الرياضيات يبرز دور بجاية الثقافي والحضاري، وذلك من اجل تطوير علوم الحساب والهندسة وغيرها، حتى غدت بلا منازع عاصمة للرياضيات خاصة الحساب[4].

ومن العلماء المشهورين في ميدان الرياضيات الأندلسي علي بن محمد القلصادي (ت 891 هـ/1486م)[5].

كما إشتهر المؤرخ ابن قنفذ القسنطيني بإنتاجه الرياضي البحت ونذكر:" مبادئ السالكين في شرح رجز ابن الياسمين" في الجبر والمقابلة وإضافة إلى" بغية الفارض من الحساب والفارض" ومؤلفه" التلخيص في شرح التلخيص"[6].

لقد كانت بجاية الحفصية تستقطب طلاب العلم الأوربيين، وساهمت إلى حد بعيد في تكوين عبقرية ليوناردو البينري في ميدان الرياضيات[7]، وفيها تعلم هذا الرياضي الشهير الايطالي الرياضيات والحساب، و أخذ عن البجائيين طرق العد السريع باستخدام الأرقام الهندية الغبارية[8].

---

1 - ابن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ط1، ج2، ص ص605-606.
2 – الطاهر حداد: المرجع السابق، ص37.
3 – روبار برونشفيك: المرجع السابق ، ص 383 .
4 – بوعزيز يحي ، موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر و العرب .
5 – برونشفيك: المرجع السابق، ص387.
6 – يوسف قرقور: الأعمال الرياضية لابن قنفذ (810 هـ / 1401م)، مجلة سرتا، العدد11، معهد العلوم الاجتماعية قسنطينة، 1998، ص139.
7 – روبار بروتشفيك: المرجع السابق، ص387.
8 – عبد الوهاب منصور: أعلام المغرب العربي: د ط ،ج3، ص 262.

ولقد قام بتأليف كتابين "كتاب العد" و"الهندسة التطبيقية"[1]

- **علم الفلك**:

ويعرف أيضا بعلم الهيئة[2]، وهو علم ينظر في حركة الكواكب الثابتة والمتحركة والمتحيزة، ويستدل من تلك الحركات على أشكال وأوضاع الأفلاك لزمن عنها لهذه الحركات المحسوسة بطرق هندسية، وهي علم معرفة لتركيب الأفلاك وهيئتها وهيئة الأرض[3].

وكان لعلم الفلك أهمية كبرى كيف لا، وقد كان متصلا ومرتبطا بمعرفة الأوقات التي تطلبها بعض الفروض الدينية، غير أن العلوم العقلية، وان كانت دراستها بهذه المعاهد مرتبطة بحاجة المعرف الإسلامية اليها[4]، مثل تحديد أوقات الصلاة والقبلة الذي يتطلب بعض المعرف الفلكية إلا انه لم يكن في متناول الجميع ، فكان يضاف لعلم الفلك علم التنجيم[5].

وفي العهد الحفصي ازدهر علم الفلك، واستعمل في تعليمه" الإسطرلاب " الذي وقع صنعه محليا وذلك لمعرفة مواقع الكواكب، ومدى ارتفاع الثابتة منها والسيارة، ومقدار الارتفاع بين الأمكنة، وخطوط الطول والعرض للبلدان، وأوقات الصلاة، وعمت البلاد نهضة علمية مباركة في مختلف الميادين وأصبحت أم البلاد المغربية بلا منازع[6].

ورغم هذا لم تسجل افريقية في العهد الحفصي أي تقدم جديد في ميدان علم الفلك ، وكان نصيبها منه ضئيلا، ضمن الإنتاج العام الضعيف خلال القرن 13م عدا العالم الوحيد المتواجد في افريقية عصرإذن: احمد بن علي التميمي المعروف باسم (ابن الكماد) الذي ضبط الازياج قبل (679 هـ/1280م) بقليل بالاعتماد على العالم الأندلسي ابن الزركالة وإضافة إلى الكتابين اللذين ألفهما ابن القنفذ المتعدد الموضوعات وهما:

" تسهيل المطالب في تعديل الكواكب"، و" شرح منظومة أبي الحسن علي بن أبي الرجال القيراني"، وهو كتاب يتناول علم النجوم، وإما علم التنجيم فكان يتمتع بحظوة كبيرة لدى

1 – يحي بوعزيز: تاريخ الجزائر القديمة والوسيطة،ج1، المرجع السابق، ص165.
2 – ابن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ط1، ج2، ص677.
3 – سامعي: المرجع السابق، ص247.
4 – الطاهر حداد: المرجع السابق، ص37.
5 – برونشفيك : المرجع السابق ، ص 383 .
6 – احمد بن عامر: المرجع السابق، ص67.

العموم والأمراء،وكان يلتجئ إليه حتى بعض الفقهاء مثل ابن الآبار(658 هـ/1260 م) الذي كان يستعمل أبراج السماء في البلاط خلال القرن 13م.

أما صناعة النجوم كانت مزدهرة في مدينة تونس بواسطة شيخ من أصل أندلسي يدعى حي بن عبد الواحد الحياط[1].

- **علم المنطق** :

هو علم يعصم الذهن عن الخطأ في اقتناص المطالب المجهولة من الأمور الحاصلة المعلومة، وفائدته تمييز الخطأ من الصواب، فيما يلتمسه الناظر في الموجودات وعوارضها ليقف على تحقيق الحق في الكائنات نفيا وثبوتا بمنهى الفكرة[2].

أي انه عبارة عن قوانين يعرف بها الصحيح من الفاسد، في الحدود المعروفة للماهيات و الحجج المقيدة للتصديقات، لان الأصل في الإدراك إنما هو المحسوسان بالحواس الخمس[3]، ويراد من علم المنطق تركيب الأدلة النظرية على وجه يثبت الدعوى، فهو علم جدلي ونظري بحث يعتمد على البديهيات الأولية في الإنسان ليصل إلى المجهول[4].

وكان يدرس علم المنطق في الدولة الحفصية، على طريقة الفارابي وابن سينا وغيرهما من الأقدمين، وطريقة الفخر للرازي من المحدثين والمتوسطين وذلك من كتب المعقول المتداولة بينهم كتاب"النجاة" و"الانتشارات " و" التنبيهات " وكلها لابن سينا[5].

والمنطق لابد منه في علم الأصول، وكانوا يدرسون بعض عناصره في مختصر شرقي تابع للقرن 13م وهو" الجمل" للخونجي أكثر من كتب الفارابي وابن سينا[6].

---

1 – برونسفيك: المرجع السابق، ص388،387.
2 – عبد الرحمان بن خلدون: المقدمة، ص537.
3 – ابن خلدون : المصدر نفسه ، ص 548 .
4 – الطاهر حداد : المرجع السابق ، ص 73 .
5 – عبد الرحمان الجيلاني : المرجع السابق ، ص 125 .
6 – روبار برنشفيك : المرجع السابق ، ص 383 .

وقد اخذ المنطق أهمية كبرى في دروس المعاهدة، خصوصا بعد أن صار جزءا منهما من علم أصول الفقه الذي وضع لمعرفة قواعد الاجتهاد في فهم الشريعة الإسلامية واستنباط الأحكام الشرعية لما يقع من الحوادث[1].

ومن الذين برعوا في علم المنطق في الدولة الحفصية عبد الرحمان ابن خلدون الذي لخص كثيرا من كتب ابن رشيد، وله تعليق في المنطق، ولخص مجمل الفخر الرازي[2].

ومن بين العلماء الذين اهتموا بعلم المنطق دراسة وتدريسا ببجاية الحفصية نذكر أبو العباس أحمد بن خالد أصيل مالقة (ت 660هـ/1261م) الذي كان من أبرز أساتذة المنطق ببجاية قرأ عليه بعض أصحابة الإشارات والتنبيهات لابن سينا من فاتحتها إلى خاتمتها[3].

إضافة إلى العالم الفاضل أبا محمد عبد الوهاب بن يوسف(ت680هـ/1240م) له معرفة بالحكمة وبراعة في علم المنطق، وخصوصا على طريقة المتأخرين، ولم يكن في وقته أعلم منه بكتاب" كشف الأسرار" الذي وضعه الخونجي في علم المنطق وهو أعلم به من واضعه مع أخلاق حسان ونزاهة وعفافه وعدم الالتفاف إلى ما عند الناس[4].

واشتهر أيضا في علم المنطق ببجاية أبو الحسن على بن إبراهيم الحرالي (ت 638هـ / 1240م)، له تضيف في هذا المجال بعنوان " المعقولات الأول "وهو أعلم الناس بالمنطق على حد قول الغبريني[5].

ب- الطب والصيدلة:

- الطب:

وهو نوع من فروع الطبيعيات، و صناعة الطب تنظر في بدن الإنسان ، من حيث يمرض ويصح فيحاول صاحبها حفظ الصحة، وبرء المرض بالأدوية والأغذية، وبين المرض وأسبابه ودوائه[6]، وبعد فن الطب وصناعة التطبيب كما يقول الغبريني من اشد

1 – الطاهر حداد : المرجع السابق ، ص 37 .
2 – ابن مخلوف : المصدر السابق ، ص ص 227 ، 228 .
3 – الغبريني : المصدر السابق، ص 100.
4 – نفسه ،ص 204 .
5 – نفسه ،ص 146 .
6 – ابن خلدون : المقدمة ، ص 553 .

الصنائع ضياعا في بلادنا، ويذكر لنا من كتب الطب المتداولة بينهم يومئذ كتاب القانون لابن سينا، وأرجوزته المشهورة في الطب[1].

أما علم الصيدلة فيعرف بأنه علم الأدوية، أو علم يبحث عن التمييز بين النباتات ومعرفة منابتها، صينية كانت أو هندية، ومعرفة زمنها صيفية أو خريفية، ومعرفة جيدها من ردئيها، وكذا معرفة خواصها[2].

والصيدلة مرتبطة ارتباطا وثيقا بعلم الطب ومكملة له، لأنه لابد لكل علم من العلوم مواد أولية تسيره[3].

وارتقى الطب في عهد الدولة الحفصية وحمل لواءه خريجوا المدرسة الصقلية والأندلسية[4] مثل الطبيب ابن اندراس (ت 674 هـ/ 1275م) وهو محمد بن احمد بن محمد الأموي، المعروف بابن اندراس أبو القاسم أبو يعقوب المرسي الأندلسي نزيل تونس الذي كان متقدما في علم الطب بعد مبارحته بلدة مرسية.

واقام ببجاية في حدود سنة (660 هـ/1262م)، ودرس بها ارجوزة ابن سينا في الطب وفي مدة إقامته بها تولى تطبيب الولاة مع بعض خواص الأطباء، فلما سمع به السلطان محمد المنتصر الحفصي وذاع صيته وصدعت شهرته استدعاه إلى مدينة تونس فكان من جملة أطباءه وجلساءه، من مؤلفاته رجز في الطب نظم فيه بعض الأدوية أتمه ببجاية[5].

إضافة إلى احمد بن محمد الحشا، أبو جعفر الطبيب التونسي ألف معجما في الطب بعنوان" مفيد العلوم ومبيد الهموم".

وهو في الألفاظ الطبية من الأعضاء و الأوصاف و الآلات و الأدوية التي وردت في كتاب المنصوري لأبي بكر الرازي ولذلك ذكر اللفظ كما جاء في المنصوري ثم ذكر اشتقاقه من العربية و الفارسية وشرح معناه ويأتي بما يقابله في لهجة المغرب الإسلامي

1 – عبد الرحمان الجيلاني : المرجع السابق ، ص 124 .
2 – إسماعيل سامعي : المرجع السابق ، ص 210 .
3 – عيسى بن الذيب : المرجع السابق ، ص 136 .
4 – احمد بن عامر : المرجع السابق ، ص 67 .
5 – محمد محفوظ: المرجع السابق، ص ص70- 71.

وقد ألفه بطلب من أمير تونس أبي زكريا يحي، وقد اقتبس المستشرق الهولندي دوزي كلمات كثيرة منه، ودل هذا على أهمية وقيمة الكتاب[1].

إضافة إلى الطبيب احمد بن عبد السلام الشريف الحسيني الصقلي التونسي ، ويقال انه قرأ الطب في جامع الزيتونة، واشتغل في المارستان الذي أسسه السلطان أبو فارس عبد العزيز بتونس من مؤلفاته الأدوية المفردة وهو عبارة عن معجم للأدوية و" مداواة الأمراض" إضافة إلى شرح أرجوزة ابن سينا في الطب وكتاب "حفظ صحة الجسم" و" المختصر في الطب"[2].

وللطبيب أبي عبد الله محمد بن يوسف السنوسي التلمساني المولد والمنشأ والمدفن عدة مؤلفاته منها شرحه ألفية ابن سنا في الطب وله كتاب أسرار الطب.

ووضع احمد بن قنفذ كتابا في الطب اسماه كتاب " انس الحبيب عند عجز الطبيب " قال عنه انه لم يهتد إلى مثله احد من المتقدمين، كما أن له أرجوزة في الطب وقيل نفسها المسماة بأنس الحبيب[3].

وهناك علماء طب عدة اشتهروا وذاع صيتهم في الدولة الحفصية منهم احمد الخولاني وعبد القادر التونسي[4].

أما تشخيص الأمراض فانه لا يزال يعتمد على الطريقة التقليدية المتمثلة في تحليل البول وكان العلاج مع الالتجاء أحيانا إلى بعض العمليات الجراحية البسيطة يولي أهمية بالغة إلى الأعشاب.

ولكن لا ينبغي أن يفوتنا انه إلى جانب الطب الرسمي المرتكز على أسس علمية والموروث عن اليونانيين، والمتطور في العهد الإسلامي، لا يزال يوجد آنذاك في الأرياف أكثر من المدن طب شعبي يستعمل هو أيضا على نطاق واسع الأعشاب[5].

---

1 - محمد محفوظ: المرجع نفسه، ج3، ص143.
2 – نفسه، ج3، ص 241.
3 – عبد الرحمان الجيلاني: المرجع السابق، ص124.
4 – احمد بن عامر: المرجع السابق، ص70.
5 – روبار برنشفيك: المرجع السابق ، ص 392 .

الفصـــل الرابع:

الفنون و العمارة في عهد الدولة الحفصية

1 – الفنون.

2 – العمارة الهندسية.

1- الفنون

أ- النقش والزخرفة:

وهي عبارة عن فن من الفنون الجميلة، ووسيلة من الوسائل المهمة التي تصنع الخيال وهذا ما يدل على تبوئها مكانتها من الصدارة بين الفنون الإسلامية المختلفة، وهي فن قديم قدم الإنسان ولقد عرف أثره من زخرفة أو نقش، بدءا من الخاتم الذي تحلى به اليد إلى البناء الضخم الواسع[1].

لقد تطور فن الزخرفة الإسلامية ببلاد المغرب والأندلس، في نفس الوقت الذي تطور فيه مثيله في المشرق، منذ أن شرع في بناء أول حاضرة ببلاد المغرب القيروان سنة (50هـ/670م)، حيث التزم الفنانون بنفس المنهج الإسلامي في الفن وإبداع الجمال في توجيهات الشريعة الإسلامية ، وقد اتجه الفنان المغربي نحو التجريد والرمز والتوريق والرشق، ولقد حقق الفنان المغربي والأندلسي في أعماله الفنية والزخرفية المتأثرة بمعاني الإسلام وقيمه في مجال التناسق العام والتوازن بين الأجزاء، أو بين الصورة ودلالتها[2].

وكان ذلك الإنجاز يتجلى بالمعالم والآثار التي حاولت من خلالها دول المغرب الإسلامي وخاصة الدولة الحفصية تجسيدها في المساجد والقصور والزوايا، مثل ما نلاحظه في جامع القصبة الذي تميز بزخرفه الأخاذ والمتنوع، ولقد أدمج الفن الأندلسي والمصري وحتى المغربي وساعد هذا الإندماج على خلق ما لاحظناه من إبداع في جامع القصبة وكذا في جامع الزيتونة وجامع الهواء، وغيرها من المعالم التي أبدع فيها بني حفص[3].

ولقد إعتمد هذا الفن على العناصر الثلاثة الأساسية في الفن الإسلامي:

1- الزخرفة الكتابية والتي اعتمدت الخط العربي لا سيما الكوفي.

2- الزخرفة النباتية وهي الطاغية وسوف نراها في زخرفة المساجد.

3- الزخرفة الهندسية[4].

---

1 - خلف بشير: الفنون لغة الوجدان،(د ط)، (د ج)، دار الهدى، الجزائر، 2009، ص183.

2 - إسماعيل سامعي: المرجع السابق، ص366 .

3 - عبد العزيز الدولاتي: المرجع السابق، ص214.

4 - إسماعيل سامعي:المرجع السابق، ص366.

وهذا تجنبا للصور المجسمة والتماثيل لأن المسلمين تحرجوا منها حتى لا يتشبهوا بعبدة الأوثان، وقد دفعهم هذا الحرج إلى أن يتوجهوا بميولاتهم الفنية نحو الزخرفة التي لم يكن عليهم فيها حرج ولا جناح، فنكبوا عليها وافتتنوا بها وأجادوا زخرفة الزجاج، والنسيج والكتب والمباني[1].

وغيرها من المناظر الطبيعية والنباتية[2] والأشكال الهندسية، التي تألف على نحو يجعلها جميلة تسر الخاطر بديعة في عين الناظر[3].

وبنو حفص أجادوا هذا الأمر وهو النقش على الجبس والخشب ،ذلك أن النقش على الجبس ونقش الحديد المستعمل في تزويق البيوت داخلها وخارجها، والمعروف لدى الأغالبة والمنتشر بعد ذلك في أنحاء المغرب الإسلامي، وخاصة الدولة الحفصية التي ازدهر فيها هذا النوع من النقش إضافة إلى النقش على الخشب الذي إستعمل في صنع الأثاث، وقد أعجب به أحد الرحالة الأوربيين بقدر ما أعجب ببلاغات الخزف المطلي، كما يوجد الآن بجامع الهواء منبر من الخشب مكتوب عليه رقم سنة 899هـ/1494م، وكان مقره بجامع أبي محمد والسنة المذكورة تشير لتاريخ صنع هذا المنبر الذي وقع نقله من جامع أبي محمد إلى جامع الهواء الذي تأسس سنة 650 هـ /1252م على يد الأمير عطف[4].

كما أجاد بنو حفص الخط الكوفي الذي أصبح بما أدخل عليه من تحسين على يد الكثير من مشاهير الخطاطين فننا زخرفيا جميلا يسر الخاطر، وهو بطبيعته صالح للزينة قابل للإنسجام الرائع مع النقوش العربية، وبفضل العناية به لأغراض الزخرفة صار نسخ المصاحف وتجليدها وتذهيبها فن قائما بذاته إستمر إلى يومنا هذا، وفي دور الكتب والآثار نماذجا كثيرة فيها من الروعة والإبداع ما لا يقدر قدره، وأكثر العبارات التي إستعملها

1- إسحاق رياح وسليمان أبو سويلم: الحضارة العربية الإسلامية في النظم والعلوم والفنون، ط2،(د ج)، دار كنوز المعرفة العلمية، الأردن،2010،ص147.

2 - فخري خليل النجار: تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، ط1،(د ج)، دار صفاء للنشر، عمان، 2010، ص 136.

3 - إسحاق رياح وسليمان أبو سويلم: المرجع السابق ، ص 147 .

4 - برونشفيك: المرجع السابق، ص437.

الفنانون في الزخرفة الخطية مستمدة من القرآن الكريم وخاصة البسملة وجملة " لا إله إلا الله محمد رسول الله " صلى الله عليه وسلم[1].

ومثال على ذلك ما نحت على باب من أبواب جامع الزيتونة الذي نقرأ عليه العبارة التالية "بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم تسليما...."[2].

وفي الأخير نؤكد على أن الفن الإسلامي وخاصة الزخرفة والنقش هي التعبير الجميل على حقائق الوجود من زاوية التصور الإسلامي لهذا الفن[3]، قالى تعالى: « إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلا»[4].

ب - الموسيقى والفن:

لقد عرفها ابن خلدون بقوله:" الموسيقى فن تأليف الألحان، وتوزيعها وإيقاعها والتطريب، وهي صناعة تلحين الأشعار الموزونة بتقطيع الأصوات على طريقة منتظمة معروفة قيد سامعها لأجل ذلك التناسب"[5].

وللموسيقى دورها في مسيرة الحضارة العربية وتطويرها ،فقد كانت قبل ظهور الإسلام أحد معايير التقدم لأهم الأمم وتحضرها، فقد كانت معجزة النبي داود عليه السلام فقد قال فيها الإمام الغزالي: "من لم يحركه الربيع وأزهاره والعود وأوتاره، فهو فاسد المزاج وليس له علاج"، ولقد أقر الإسلام الذوق السليم والصوت الحسن[6] لقوله تعالى :"وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ"[7].

لقد ظهر الميل إلى الموسيقى في الدولة الحفصية وانتشر بما فيه الكفاية ،وكان يبعث على وجود عدد من العازفين سواء منهم الهواة أو المحترفين، فقد لاحظ ليون الإفريقي أن كل شخص في بجاية يعرف العزف على آلة من الآلات الموسيقية، وأن جميع سكانها تقريبا

1 - إسحاق رياح وسليمان أبو سويلم: المرجع السابق، ص147.
2 – عبد العزيز الدولاتي : المرجع السابق، ص201 .
3 – إسماعيل سامعي: المرجع السابق، ص 361 .
4 – سورة الكهف: الآية 7.
5 – ابن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص 708 .
6 – إسماعيل سامعي: المرجع السابق، ص369 . .
7 – سورة لقمان: الآية 19 .

كانوا يتقنون العزف على القيتار والعود[1]. وفي مدينة تونس ألغى السلطان أبو فارس ضريبة كانت مفروضة على الموسيقيين والمغنيات المحترفات، وكان كثير من سلاطيين بني حفص يستمعون داخل قصورهم إلى بعض الجواري المغنيات والموسيقيين البارعين، كما أهدى ملك نابولي آلة موسيقية إلى ابن السلطان عثمان أثناء مفاوضات السلم التي جرت سنة 1472، ولقد نقل ليون الإفريقي هوس الموسيقى الذي كان لدى السلطان الحفصي في ذلك العصر وهو أبو عبد الله ابن الحسن[2]. « فقد كان يشعر بالنشوة بين المنشدين والعازفين والنساء اللائي يتقن الغناء... ،عند ما يريد أحد أن يغني في حضرته يأمر بإغماض عينيه بعصابة ثم يتوجه نحوى النساء اللائي ينتظرنه».

ووصف هذا الأمر بأنه يكاد يكون جنون.

ولقد كانت الموسيقى الرائجة في البلاط والمدينة هي الموسيقى الأندلسية التي جلبها أبو الصلت أمية ابن عبد العزيز[3] إلى إفريقيا في العهد الصنهاجي، وهي موسيقى راقية ومهذبة مازالت آثارها باقية إلى يومنا هذا في البلاد التونسية تحت اسم المألوف.

وقد استعرض محمد الظريف في القرن الرابع عشر في أسماء المقامات الموسيقية الثلاثة عشر المعروفة في العصر الحاضر،[4] ومما لا شك فيه أن السكان الريفيين قد احتفظوا بموسيقى أبسط من الموسيقى الأندلسية وهي ذات أصل عربي أو بربري لم تتقرض تماما آنذاك.

ونقول أن الموسيقى خلقها الله في خرير المياه المنهمر، وصوت الموج الساخب وهديل الحمام وزقزقة العصافير، وغيرها من الأصوات التي أبدع فيها الله تعالى[5].

1 - آلة طرب مصنوعة من غشائين من جلد الماعز مشدودة من الجهتين بإطار خشبي بواسطة مسامير من نحاس . انظر إبراهيم بهلول: الآلات الموسيقية التقليدية،(د ط)،(د ج)، الديوان الوطني للثقافة والإعلام، الجزائر،2004، ص31.

2 - برونشفيك: المرجع السابق ، ص 433 .

3 - أول من ادخل الموسيقى الأندلسية إلى افريقية وكان متعلما ومتقنا لعلم الموسيقى ، يجيد اللعب بالعود وهو الذي لحن الأغاني الإفريقية. أنظر نفسه، ص 434 .

4 – أسماء تلك المقامات حسب الترتيب التي وردت به : الرهاوي ، الذيل ، الرمل ، الاصهان ، السيكة ، المحير، المزموم، الحسين، النوى، الماية، الأصبعين . انظر نفسه ، ص 434 .

5 – نفسه : ص 434 .

2- العمارة الهندسية:

ولقد إشتملت على عدة عناصر منها ما هو مستورد ومتواجد جنبا إلى جنب بدون أن يندمج بعضها في بعض، مع الملاحظ أن العناصر الأجنبية المقتبسة منذ عهد قريب مستوردة من عدد كبير من الأقطار وأن هناك تنافس بين الأندلس من جهة والمغرب الأقصى والمشرق من جهة أخرى هذا والتأثير المغربي واضح منذ القرن الثالث عشر[1] حيث عرفت الدولة الحفصية وخاصة تونس طور إزدهار أكيد، لم تشهده في تاريخها القريب فكان بمثابة قرن النوح وغدت العاصمة حضيرة بناء واسعة، فتكثف تشييد الجوامع والقصور والجوامع وغيرها[2].

أ- المساجد

1- جامع القصبة: ويحمل هذا الجامع الذي يعود تاريخ بنائه إلى تأسيس الدولة أدلة ساطعة على ذوق حكام الدولة الحفصية الجدد، والتقاليد الفنية التي إتبعوها.[3] وترجع تسميته نسبة إلى المدينة التي يقع فيها وكان يسمى أيضا بجامع الموحدين، وذلك في المائة السابعة نسبة لسلف مؤسسه وأطلقوا عليه أيضا إسم الجامع الحفصي وهي موافقة لحقيقة حاله[4] لأن الذي بناه هو السلطان أبو زكريا يحي الذي بادرة بتشييد جامع القصبة طبقا لتقاليد إفريقيا قديمة[5] ابتدأت أشغال البناء بإشراف المهندس علي بن محمد بالقاسم سنة 920هـ/1231م ، وإنتهت يوم الجمعة 7صفر من سنة 633هـ/أكتوبر 1235م إلا المنارة التي تم تشييدها قبل هذا التاريخ بمدة طويلة؛ أي أنها كانت جاهزة في العشر من شهر رمضان سنة (630هـ/11 ماي 1233)[6].

1 – برونشفيك: المرجع السابق، ص ص 434- 435 .
2 – محمد البشير حليم و الهادي مهني : تونس طبيعة وثقافة ، تع : صلاح الدين بوجاه ، (د ط) ، (د ج) ، منشورات اوربيس، (د ب ن)، 2007 ، ص130.
3 – عبد العزيز الدولاتي : المرجع السابق ، ص 150 .
4 – ابن أبي الدينار: المصدر السابق ، ص 127 .
5 – شارل أندري جوليان : المرجع السابق ، ص 198 .
6 – عبد العزيز الدولاتي : المرجع السابق ، ص 150 .

أي أنه كانت جاهزة وهي مبنية بالحجارة زيادة عن كونها تناطح الأفلاك بإرتفاعها[1]. ولقد زخرف خارجها زخرفة تسطيرية نسجت أيضا على منوال المنارات المغربية[2] (أنظر الملحقين رقم: 6-8).ويرى الناظر في واجهة تلك الصومعة إطاريين عظيمين[3]، مكتوبين بالقلم الغليظ تضمنا الإشارة لصنيع السلطان أبي زكرياء مع ذكر اسمه واسم سلفه، وبقربهما لجهة اليمين حجارة صغيرة تضمنت إسم الرجل الذي باشر هندسة بنائها، دشنها الأمير أبي زكريا الأول حيث أذن من أعلاها لصلاة المغرب.

لقد بنيت تحت أرضية بيت الصلاة مواجل عظيمة، ذات صلابة ومتانة شديدة مسقوفة بعقود متصالبة، ترفعها أكتاف وأعمدة بدون تجان تستقبل المياه التي تتجمع فوق السطوح بواسطة ميازيب، ثم يمتد منها نفق تسمح برفعه، وقد أستعمل ناووس قديم كحوض صغير للسبل ألصقت بالجدار الخارجي، كما توجد فتحة أخرى في بيت الصلاة يمكن الدخول منها مباشرة إلى الصهاريج، وفي مواجهة الفتحة الخارجية تحت الرواق الشمالي بني محراب في الجدار بين الباب الأوسط والباب الشرقي هذا المحراب الذي لم يعد له أثر الآن، كان مغطى بزخارف جصية ذات عناصر هندسية تعود إلى عصور متأخرة، يمكن أن يكون دليل على وجود صحن قديم(أنظر الملحق رقم:09).

أما الرواقان الشمالي فيتكون من ثمانية أقواس والجنوبي من عشرة، ويتصلان ببيت الصلاة بواسطة ثلاث أبواب في الرواق الشمالي وأربعة في الجنوبي ويوجد باب ثامن شمال المحراب يتصل بمقصورة الإمام، أما داخل بيت الصلاة فهو بناء معمد مستطيل شديد العمق قليل الاتساع ينقسم إلى سبع بلاطات وتسع أروقة[4] (أنظر الملحق رقم:07).

ولقد زودت منارة جامع القصبة بكوى مشطوبة بالإضاءة وتهوية القفص، ولقد بقيت هذه المنارة الأولى من نوعها في إفريقية تجلب انتباه السكان، وقد أشاد ابن أبي الدينار بجمالها

1 – محمد بن خوجة : المصدر السابق ، ص 158 .
2 – سليمان مصطفى زبيس : المرجع السابق ، ص 79 .
3 - محمد بن خوجة : المصدر السابق ، ص 158 .
4 - عبد العزيز الدولاتي : المرجع السابق ، ص 152 .

وأصالة هندستها وزخارفها. وفعلا فهي تقليد للمنائر الموحدية في المغرب الأقصى والأندلس، وخاصة منارة قصبة مراكش[1].

وفي الأخير نقول أن جامع القصبة الموحدي كان ذا مكان مرموقة في تاريخ الفن بإفريقية؛ ذلك أنه فضلا عن كونه مركز السيادة الموحدية المتمركزة في القصبة،يعطينا صورة عن الأسلوب الفني الذي ازدهر في تونس في عهد الموحدين والحفصيين، فهو إذا فن رسمي جلب بواسطة حكام إفريقية[2].

2- **جامع الزيتونة**: لقد اختلف حول من بناه فبعضهم نسب تأسيسه لحسان إبن نعمان الغساني الذي فتح تونس في سنة 79هـ/698م، ويقال أيضا أن الذي بناه هو عبيد الله ابن الحبحاب، وقال آخرون أن الذي بناه مسجدا هو حسان بن النعمان وان ابن الحبحاب هو الذي وسع فيه وفي عمارته وكملت على يده، وهذا القول هو الراجح لان حسان بن النعمان فتح مدينة تونس سنة 79هـ- 698م وولاية عبد الله بن الحبحاب على افريقية سنة 110هـ- 728م فلا يعقل ألا يكون لجماعة المسلمين جامع للصلوات فيما بين قدوم حسان 79هـ وولاية إبن الحبحاب 110هـ، ومنه يمكن القول أن واضع الأساس الأول هو حسان بن النعمان وعمارته تمت على يد ابن الحبحاب[4].

ولقد شيد في القرن الأول الهجري على يد إسماعيل بن عبيد[5]، ثم أخذ هذا الجامع ينشىء مجده العلمي و من حين لآخر يبرز فيه رجال يشتهر علمهم إلى أن تحول مجد القيروان عاصمة ملك الأغالبة إلى تونس التي أرجع لها الملك في دولة الموحدين والحفصيين ،فكان ذلك العصر مبدأ تفوق هذا العهد وإزدهاره،[6] ولقد شمل هذا الازدهار جامع الزيتونة الذي عني عناية كبيرة من طرف سلاطين بني حفص[7] الذين قاموا بأعمال مختلفة في أعمال صيانة المعالم وترميم الأجزاء المتضررة فيه، مثل ما قام به الواثق ابن المستنصر سنة 667هـ/1277م وفي سنة 716هـ/1346 تحتم بناء السقف الخاسف.

1 – عبد العزيز الدولاتي: المرجع السابق، ص 156 .
2 – نفسه : ص 172 .
4 – محمد بن خوجة: المصدر السابق ، ص43 .
5 – خليفة الشاطر وآخرون: المرجع السابق، ص167 .
6 – الطاهر حداد: المرجع السابق ، ص ص 44-45 .
7 – محمد بن خوجة: المصدر السابق، ص43.

حيث أمر أبي يحي زكرياء ببنائه من الروافد الخشبية وزود بيت الصلاة أيضا بأبواب من نفس المادة ويقال أنها من عود الساج[1]،كما قام بكساء الجامع وحسنه في سنة 676هـ/1277م[2]. وفي شهر رجب من سنة 767هـ/1367م أمر أبو إسحاق إبراهيم بدوره بإعادة دهن الكتابة اللازردية التي تؤطر قبضة المحراب[3].

كما قاموا ببناء المنشآت المائية كبناء صهريج وسبل في الجانب الشرقي من بيت الصلاة بأمر من السلطان المستنصر سنة 648هـ/1250م[4].

وقد أعيدت هذه الأعمال من طرف أبي عمرو عثمان سنة 841هـ/1437م ثم من طرف أبي عبد الله محمد سنة 899هـ/1493م و932هـ/1525م[5] ،كما أن السلطان أبو عثمان كان الأصل في بناء الميضاة المواجهة للجامع في سوق العطارين المعروفة بميضاة السلطان[6] ولقد أرخت البقايا الموجودة داخل الجامع منها الأبواب الفخمة(أنظر الملحقين رقم:12-13) التي نصبت سنة 716هـ/1316م من طرف أبي زكرياء ابن اللحياني لحماية بيت الصلاة؛ ففي أعلى المدخل الذي يفتح على البلاطة الرئيسية توجد كتابة كوفية مضلعة منحوتة على الخشب تحتل الجبهة، نقرأ فيها اسم أبي زكرياء وتاريخ القيام بالعمل وجاء فيها" بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم تسليما، هذا ما أمر به الخليفة الإمام أمير المؤمنين أبو يحي زكرياء ابن الأمراء الراشدين في شهر رمضان المعظم عام ستة عشر وسبعمائة" (أنظر الملحق رقم:15)، كما يوجد داخل بيت الصلاة في منطقة المحراب أربعة أعمدة أندلسية - مغربية إثنان منها يدعمان قوس المحراب إلى جانب التيجان الزيرية ،ويحتل الإثنان الآخران زوايا الواجهتين المرمريتن على جانبي المحراب(أنظر الملحق رقم:14)، يتطابق الأولان مع الأعمدة التي في ميضاة السلطان وزاوية سيدي قاسم الزليجي، في حين يعود الباقيان إلى النوع الغني بزخارفه مع كتابات دعائية

1 - عبد العزيز الدولاتي: المرجع السابق، ص198 .
2 - ابن أبي الضياف: المصدر السابق، ص236 .
3 - محمد بن خوجة: المصدر السابق، ص44 .
4 - عبد العزيز الدولاتي: المرجع السابق، ص198.
5 - ابن أبي الدينار: المصدر السابق، ص128 .
6 - ابن أبي الضياف: المصدر السابق، ص236 .

على المسند التي نشاهدها في مدخل سوق القماش وفي بيت صلاة زاوية سيدي عروس، كما يوجد النوع الأخير من التيجان في جامع الزيتون نفسه ضمن إطار مرمري[1] لباب المكتبة التي أسسها أبو عمرو عثمان سنة 854هـ/1450م (أنظر الملحق رقم:16) داخل مقصورة سيدي محرز[2]، وهي تيجان تعلو أعمدة محشورة في العضادات زخرفت قواعدها بالعنصر التقليدي ذي الإلتواءات والمثناة[3] ،إن التجانس التام الذي تقدمه هذه التيجان تسمح بالإفتراض بأنها تنتمي إلى العصر الحفصي، وكذلك الإطار المتكون من الرخام الأبيض والأسود الذي يحملها وهناك علامة إضافية تؤيد هذه الفرضية وهي الكتابة الكوفية المضلعة الفخمة التي تزين الجزء العلوي من الباب الخشبي الحامل لإسم المؤسس أبي عمرو عثمان وتاريخ التشييد رجب 854هـ/1450م، وغير ذلك من الأعمال القيمة التي قام بها أمراء بني حفص[4].

ويبقى هذا الجامع الهام في تاريخ العمارة الدينية التونسية؛ منارة العلم بتونس عبر العصور ورمز لما شيده الأمراء وأبدعوا في تشييده[5].

3- جامع التوفيق: هذا الجامع يسمى أيضا جامع الهواء[6]. وهو من مآثر المحسنة الأميرة عطف وكانت رومية الأصل[7]. وهي زوجة الأمير أبي زكرياء وأم السلطان المستنصر ثاني ملوك بني حفص أسسته سنة 650هـ/1252م[8].

ومثلما رأينا في جامع القصبة لا نجد لهذا الجامع أيضا الصحن التقليدي الذي نجده عادة أمام بيت الصلاة، بل حيزا واسعا على شكل معين منحرف يلتصق بالزاوية الجنوبية الغربية مكونا فضاءا مكشوفا يحيط ببيت الصلاة من ثلاث جهات ؛عدا جهة جدار القبة

1 - عبد العزيز الدولاتي: المرجع السابق، ص ص201- 202.
2 - ابن أبي الضياف: المصدر السابق، ص237 .
3 - الخليفة الشاطر وآخرون: المرجع السابق، ص157.
4 - عبد العزيز الدولاتي: المرجع السابق، ص202.
5 - الخليفة الشاطر وآخرون: المرجع السابق، ص175.
6 - محمد بن خوجة: المصدر السابق، ص21.
7 - ابن أبي الضياف: المصدر السابق، ص205.
8 - محمد بن خوجة: المصدر السابق، ص21.

تشتمل الزاوية الشمالية الغربية للمعين المنحرف على صومعته مربعة ذات طابق وحيد[1] (أنظر الملحق رقم:10) .

أما بيت الصلاة فهو على هيأة مستطيل وتتميز على بيت صلاة جامع الموحدين بالقصبة بتدعيماتها القوية؛ التي تستند عليها الجدران الخارجية الصلبة، وينقسم بيت الصلاة إلى سبع بلاطات وستة أروقة وجميعها مسقوفة بأقبية متصالبة مدعمة بعقود رافدة. استخدم الأجر الملان في بناء أقبية حسب طريقة النائم والقائم كما تدعى في تونس، بينما استخدمت حجارة صغيرة رديئة التربيع في العقود، وتتميز ثلاثة أقبية بقفلها عند نقاط تقاطع روافدها المتصالبة بإغلاق على شكل نجمة تحضن كل واحدة من هذه النجوم محارة نحتت في الجص.

أما السواري فتختلف جذوعها من حيث الطول والقصر وطبيعة الحجارة المستعملة، كما أن التيجان التي يعود أغلبها إلى أصول عتيقة شديدة الاختلاف أيضا من حيث المظهر والأحجام، كما تقترب القبة التي تعلو هذا المسجد من قبة باب البهو بجامع الزيتونة التي أمر بنائها الخليفة المنصور سنة 381هـ/991م، وأشرف على العمل فيها المهندسين أبو الثناء وأحمد ابن البرجيني نحتت الحجارة التي بنيت بها هذه القبة ونحتت بدقة ومنها ما ركب بدون روابط كفقرات[2].

أما بالنسبة إلى المحراب فيختلف عن محراب جامع القصبة بعدم وجود لوحات الرخام العمودية المزخرفة بالأقواس التي تحيط بالحنية (أنظر الملحق رقم:11) .

لكننا نلاحظ به تفصيلا زخرفيا لا نجده في محراب جامع الموحدين بالقصبة[3].

4- الجامع الأعظم: لقد تميزت بجاية بجامعها الخاص وهو الجامع الأعظم؛ جامع جميل وذو شأن أقدم من جامع القصبة[4].

يبلغ طول هذا الجامع 10 متر وعرضه 75 متر وله واجهة مزينة بـ17 عقدا وباب كبير على يمينه وعلى يساره لوحة رخامية مزينة بكتابات رائعة، وبجانب هذا الباب كان 22 باب

1 – عبد العزيز الدولاتي: المرجع السابق، ص172.
2 – عبد العزيز الدولاتي ،المرجع السابق ص ص 174 – 175 .
3 – نفسه، ص146 .
4 – السعيد عقبة : المرجع السابق ، ص 50 .

آخر أحدهما يؤدي إلى بيت الصلاة مخصص للنساء وكان يحرسه شيخ كبير السن وداخل المسجد نجد 32سارية من الرخام وقبة عظيمة، وكانت أرض المسجد مفروشة بالرخام وجدرانه مغطاة بالزليج وعليها كتابات قرآنية وكان إرتفاع مئذنة هذا المسجد تبلغ 60 ذراعا وضلع قاعدته المربعة 20 ذراعا[1].

ويصف فيرو هذا المسجد بقوله: " إن هذا المسجد الجامع كان رائعا في هندسته تعلوه منارة علوها 60 ذراعا، ويتميز بكبر بابه المرصع بالرخام وعليه نقوش وكتابات عربية ، أما بيت الصلاة فكله مبلط بالرخام وجدرانه مرصعة بالزخارف ونقوشه آيات قرآنية بالخط العربي الجميل وتعلو المسجد قبة ضخمة وبه 22 بابا وهي أبواب مخصصة للدخول وخروج النساء"[2].

مسجد قصر اللؤلؤة: لقد أتم الأمير الحمادي المنصور بناء قصر اللؤلؤة في سنة 494 هـ/1100م وحوله إلى مسجد ووضع الحجر الأساسي لمحرابه، وزينه بعمودين من الرخام الأحمر والأصفر لم يرى مثلهما، وقام بردم الكنيسة فلما سمع صاحب روما بذلك أراد أن يشتريهما من المنصور ولكن لم يقبل وبنا محراب المسجد بين العمودين، وذكر البجاوي أن الأمير الحمادي شيد جبا في صحن المسجد لم يرى مثله في الكبر، ومئذنة قرب بئر البستان يبلغ إرتفاعه 70 ذراعا وعرضها 25 ذراعا، وكان لهذه المئذنة بابان أحدهما من جهة الشرق والآخر من جهة الجنوب وكان باب المئذنة من الرخام المنقوش واشترى المنصور العمود الأخضر بمبلغ كبير ووضعه في المسجد وكان المحراب وما يحيط به من الرخام الأبيض، وفي وسطه عصابة مستديرة ونقشوا عليها آيات من القرآن الكريم.

وكانت جدران المسجد مزينة بالنقوش والصور الرائعة الجمال من أسفلها إلى أعلاها، وكانت الأعمدة مزخرفة هي الأخرى بدقة وإبداع كبير، أما العمودان الأحمران فهما موضوعان إزاء المحراب، وفوق القبة كانت توجد مكتبة فيها الكثير من الكتب التي جلبت من عديد البلدان ،وبجانبها كانت توجد الغرف التي يقطن فيها الأساتذة ،وكان عدد

1 – رشيد بورويبة: الدولة الحمادية تاريخها وثقافتها، (د ط)، (د ج) ، ديوان المطبوعات الحامعية ، الجزائر، 1977م، ص108.

2 – السعيد عقبة: المرجع السابق، ص50.

الأعمدة في هذا المسجد 412 عمود وطوله 222 ذراعا وعرضه 150 ذراعا، وفي مقدمة المسجد نجد مقصورة بابها قرب المنبر[1].

لقد قسم إلى طابقين لاستيعاب المصلين قسم فيه بيت الصلاة إلى 14 رواقا وكان لـــه 12 بابا وقاعة خاصة بالنساء موجود شرقي المسجد مفصولة عنه بجدار متقن البناء[2].

كما شيد قبة باب البهو وكانت موضوعة على 32عمودا تشكل دائرة أهداها صاحب جنوة إلى المنصور وأمام الأروقة كان الصحن مفروشا على 15 ذراعا[3].

وبهذا نقول أن السلطان المنصور عني عناية خاصة بهذا المسجد فجعله من أبدع المساجد وأروعها عمارة، وذلك من خلال اقتناء كل ما وضعه فيه من أعمدة وزخارف وغيرها.

ب- الأضرحة: وهي التي ترث المكان الذي كان يسكنه الرجل الصالح أو موقع خلوتـــه سواءا كان خارج المدينة أو داخل أسوارها، وتعد كتب المناقب مـــن أثـــرى المؤلفـــات بالمعلومات الخاصة بتلك الأماكن المقدسة التي بقيت أخبار أصحابها الـــى اليـــوم عالقـــة بذاكرة أهل المدينة[4]، ومن هذه الزوايا نذكر:

1- زواية سيدي القاسم الزليجي: لهذه الزاوية قيمة أثري مرموقة ترشحها الـــى اخـــذ مكانتها بين المعالم المعتبرة في الدولة الحفصية[5].

وتنسب هذه الزاوية الى سيدي قاسم الزليجي وهو من اللاجئين الأندلسيين الوافدين الـــى تونس بعد الاستيلاء على غرناطة، وكان يتعاطى صناعة الزليج البارز المعـــروف عنـــد الأسبان الكويردة سيكا توفي الزليجي سنة 902 هـــ ودفن تحت قبته[6]، وتتألف هذه الزاوية من مسجد وقاعة مسقوفة بقبة هرمية الشكل(أنظر الملحق رقم:17) تفتح على فناء وتحـــيط بـــه أروقة أربعة وراءها غرف السكنى للزائرين و المرابطين. أما المسجد فهو يتـــألف مـــن ثلاث مساكب عرضا ومن لوحات روخامية متوجة بأقواس منقوشة وكتابات كلها من

1 – رشيد بورويبة: المرجع السابق، ص ص108-109.
2 – عبد العزيز لعرح: مساهمة الجزائر في الحضارة العربية الإسلامية، (د ط)، (د ج)، المركز الوطني للدراســـات و البحث الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م،2007م، ص215.
3 – رشيد بورويبة: المرجع السابق، ص209.
4 – عبد العزيز الدولاتي: المرجع السابق، ص141.
5 – سليمان مصطفى زبيس: المرجع السابق، ص74.
6 – برونشفيك: المرجع السابق، ص436.

الطراز الحفصي المتأثر كثيرا بالفن الأندلسي، أما جدران هده الزاوية فهي مكسوة بقطع الزليج الملون المزخرف بالتساطير البارزة الذي لم يبقى شيء مثله في العمارات الأخرى[1].

أما عن تخطيطها فنلج الى الداخل بواسطة باب ذي مصرعين محاط بإطار مستطيل من نفس نوع بابي الزاويتين المعاصرتين زاوية سيدي ابن عروس وزاوية احمد الكلاغي المجاورة لها في نفس النهج، وتمتاز هذه الأبواب الثلاثة بالإضافة الى باب ميضاة سوق العطارين باستعمال فقرات منحوتة برقة تعلو الاسكفة، وبأشكال الحيات التي تزخرف أسافل العضادات يقودنا الباب الى سقيفتين يفصل بينهما مدخل مقوس بفقرات متناوبة نجد في كل منهما دكة من الكدان، نلاحظ في السقيفة الأولى بابين الى اليمين والى الشمال يدفع بنا الأول الى المصلى والثاني إلى مقبرة صغيرة أما الباب الرئيسي فيؤدي مباشرة الى الصحن الواسع المبلط بألواح كبرى من المرمر وبمواد ومعدات الإستعمال[2] (أنظر الملحق رقم:18).وهي تحتوي على زخارف زهرية مشتقة من الاقنثة في شكل متعرجة دائرية يعلوها متوازي السطوح مع سعوف ونقوش، إلا أن التاج الحفصي الخالص الذي سيبقى قائم الذات مدة طويلة مشتق من التاج الإفريقي السابق حيث يتركب كأسا التاج من أربع أوراق ملساء مرفوعة في الزوايا ترتفع بينها أربع أوراق أخرى أضيق منهاوتحتل وسط الجوانب، أما أزهار الزخرف المطلي المعروف باسم الزليجي فهي ذات أصل أندلسي مغربي[3].

لقد ظهرت الزوايا في بجاية بدءا من أوائل القرن 7هـ/14م حيث يذكر الغبريني في عنوان الدراية أن الفقيه أبا زكريا يحي الزواوي 611 هـ/1215م كانت له زاوية، لكن يبدو من كلام الغبريني أن هذه الزاوية كانت للعبادة فقط وكانت عبارة عن بناية صغيرة ملحقة بمسجد، بينما كان يؤدي للعبادة بعقد حلقات دروسه بالمسجد. ويذكر لنا الغبريني إسم زاوية أخرى من زوايا بجاية وهي زاوية أبي القاسم بن محمد القرطبي 622 هـ/1260م، حيث نفهم من كلام الغبريني أن هذه الزاوية كانت تأوي الطلبة وموردي الشيخ أبي الفضل[4].

1 - سليمان مصطفى زبيس: المرجع السابق، ص75.
2 - عبد العزيز الدولاتي: المرجع السابق، ص180.
3 - برونشفيك: المرجع السابق، ص435.
4 - السعيد عقبة: المرجع السابق، ص57.

ج- القصور:

- **قصر رأس الطابية**: لقد شيد هذا القصر في عهد السلطان أبو زكريا بين عامي 647 هـ/675هـ[1] في الجهة الشمالية الغربية من المدينة،[2]وكانت بساتين هذا القصر تتبع نظام بهو السباع بقصر الحمراء،[3] لقد اكلمه المستنصر و زاد في تعميره ونستطيع أن نقول أن كل الأبنية التي أقامها السلطان متأثرة بالدرجة الأولى بالأسلوب الأندلسي المبدع.

- **قصر العبدلية**: وهي عبارة عن ثلاث قصور توجد في المرسى ويسمى كل واحد منها العبدلية وتسمى ثلاثتها بالعبدليات، وهي من آثار أبي عبد الله الحفصي، ولقد وصفها المسعودي في الخلاصة النقية بقوله "القصور الشاهقة والبساتين الشهيرة بالعبدلية و تسمى أيضا بالمرسى" أما عن موقعها فنقول أن القصور الثلاثة متقاربة بين البساتين والآبار والجواب، احد هذه القصور متصل بحد السفح الشمالي لجبل المنار ويعرف الآن باسم الحفصبي، والثاني أقيم عليه قصر الملك الحسيني الى جانب الجامع الكبير بالمرسى، والثالث يسمى بالعبدلية الكبيرة وهو الواقع وراء دار البريد والحديقة العمومية البلدية للمرسى في الجهة الغربية.[4] ولقد وصف قصر من العبدليات بأنه يحيط به بستان، وهو يتركب من دهليز يقع في الجهة الغربية الشمالية منه يفتح الى الجنوب وله مدخل فخم عليه قبة مدورة بداخلها نقوش زخرفية من الجص على نحو ما هو في المعاهد الحفصية و المباني الأندلسية والمغربية في ذلك العصر، وإلى شرقي هذا الدهليز يقع القصر ممتدة واجهته الى الجنوب في مقابلة السقيفة التي كانت مبنية على مدخل البستان ،ويحتوي القصر على طوابق متراكبة ذات قاعات وأبهاء تحيط كلها بحنايا وأقباء تتوسطها بركة ماء مربعة مبنية وضعها شبيها ببهو البركة بقصر الحمراء بغرناطة وقد ردمت هذه البركة على نحو سبعين سنة[5].

1 - عبد العزيز سالم: المرجع السابق، ص791.
2 - شارل أندري جوليان: المرجع السابق، ص198.
3 - عبد العزيز سالم : المرجع السابق، ص791 .
4 - محمد الفاضل بن عاشور: المرجع السابق، ص ص 283- 284 .
5 - محمد الفاضل بن عاشور، المرجع السابق ،ص ص285-286 .

2- قصر اللؤلؤة : قال عنه ابن خلدون: " انه من أعجب قصور الدنيا"[1] بني هذا القصر في حوالي 470 هـ/1077م،[2] حيث شرع في بناءه في عهد الناصر وأتمه ابنه المنصور وقام بتوسيعه[3].

ولقد وصف هذا القصر الحميري بقوله : " في بجاية موضع يعرف باللؤلؤة وهو انف من جبل قد خرج في البحر متصل بالمدينة، فيه قصور من بناء ملوك صنهاجة غاية في الحسن فيها طاقات مشرفة الى البحر عليها شبابيك الحديد و الأبواب المخرمة المحلاة بالمجالس المقرنصة المبنية حيطانها من الرخام[4].

3- قصر الكوكب: لقد بني هذا القصر في عهد المنصور، وهو من أجمل قصور العالم فهو بناء عال مزين بصور مرسومة بحجر الزنح ونبات اسمه الرجف يدقان معا ويزينون الجدران بهما ويلمع هذا القصر مثل أشعة الشمس،[5] كان له تسعة أبواب ذات مصرعين من الخشب المنقوش لا يفتح كل واحد منهما إلا إذا دفعه عدة رجال أقوياء ،وفي الطابق الأول غرف وكان يقع بين القصبة وبرج المرسى ولقد وصفه الشاعر ابن حميدس في قوله :

قصر لو انك قد كحلت بنوره أعمى لعاد الى المقام بصيرا
نسي الصحيح من المليح بذكره وسما ففاق خورنق وسديرا
ولو انه بالإيوان قوبل حسنه ماكان شيئا عنده مذكورا
أعيت مصانعه على الفرس الأولى رفعوا البناء واحكموا التدبيرا
ومضت على الروم الدهور وما بنوا لملوكهم شبها له ونظيرا[6]

1 - ابن خلدون: العبر، المصدر السابق، ص231 .
2 - رشيد بورويبة: المرجع السابق، ص208 .
3 – مختار حساني: المرجع السابق، ص189 .
4 - محمد بن عبد المنعم الحميري: الروض المعطار في خير الأقطار، تح: احسان عباس، ط2، (د ج)، مكتبة لبنان، لبنان، 1984م، ص81.
5 - مختار حساني: المرجع السابق، ص189 .
6 - رشيد بورويبة: المرجع السابق، ص ص245– 246 .

د - العمارة العسكرية:

من المعروف أن العمارة العسكرية أثناء الحروب غالبا ما تكون عرضة للضرر على غرار العمائر الدينية أو المدنية ،لأنه عند اقتحام مدينة تهدم أسوارها وتخترق أبوابها بأي طريقة كانت،[1] لهذا عمل بنو حفص على تحصين دولتهم من أي خطر أجنبي فكانت من أهم العمائر التي أقاموها:

1- السور : وهو عبارة عن حزام من الجدران يحيط بالأرباض الحفصية من أجل تحصينها خاصة ضد غزوات القبائل المجاورة ،ولهذا أنشأ أول سور في تونس ولقد كانت أول إشارة لوجود أسوار حول الأرباض في سنة 717 هـ/ 1317م على أيام الأمير الشاب أبي عبد الله محمد أبي ضربة الذي ما إن تمت مبايعته حتى دعى سكان الارباض الى حماية أنفسهم بواسطة جدران قوية تكون بمثابة تحصينات إضافية تحيط بأسوار المدينة ،وفعلا فقد بدأت الأشغال الحثيثة لكنها لم تكتمل بسبب هجمات أمير قسنطينة، وبقيت على حالها الى أن جاء أبي الحسن بعد الاحتلال المريني وبادر ببناء الأسوار وإحاطة المدينة بخندق [2]، ولقد أشار ياقوت الحموي الى هذا الخندق بقوله: " ويدور بمدينتها خندق حصين " [3] إلا أن تألب الأعراب وغيرهم من الجيران عليه اضطره الى التخلي عن المدينة، ولكن المدينة استطاعت أن تتصدى لهذه الهجومات ويرجع الفضل في ذلك الى الأشغال التي قام بها أبي الحسن وبفضلها أصبح للمدينة أسوار .

كما قام الحاجب ابن تافراكين عندما سيطر على الوضع في المدينة بتدعيم الأسوار من جديد، وهي العملية الثالثة في تاريخ المدينة ولقد توالت عليها العديد من الهجومات استطاعت أن تصد بعضها وهذا يبدو أن الأسوار حافظت على شيء من القوة و المناعة وقامت بدور الدفاع عن المدينة بقوة وصمود.

ولقد وصف بعض الرحالة مثل ابن الشماع و البكري هذا السور بقولهم : إن أسوار المدينة يبلغ طولها أربع وعشرين ألف ذراعا، وقال آخر : أن بإمكان فارس أن يطوف بالمدينة في ساعة في سرعة متوسطة.

---

1 - ابن خلدون : العبر، المصدر السابق ، ص 231

2 - عبد العزيز الدولا تي: المرجع السابق ، ص ص 101 -102 . .

3 – ياقوت الحموي : المصدر السابق ، ص 60 .

ولكننا نقول أن معظم المصادر وصفت تونس دون وصف سورها من حيث العمـــارة و الطول والعرض وغير ذلك[1].

سور بجاية : ولقد حصنت بجاية به ضد غزوات القبائل العربية التي كانـــت ســببا فـــي تخريب القلعة الحمادية ويعود تاريخ بناءه الى عهد الناصر ابن علنـــاس خـــلال القـــرن 5 هـــ/11م يمتد هذا السور على شكل مثلث قاعدته الواجهة البحرية وقمته رأس الجبل [2] أما عن ارتفاعه فكان بين 4 و3,6 متر أما فيما يخص عرضه فقد كـــان يتـــرواح بـــين 1,70 متر إلى 2,50 متر ولقد بنى هذا السور بالحجر المكسو بالجير و الاســـمنت لكـــي يصعب تهديمه عند الهجومات المختلفة التي تتوالى على بجاية لأنها ذات موقع مهم ولهذا فهي مطمع الكثيرين، ويوجد في أعلاها ممر للحرس به شرفات وبه بروج في كـــل 25 مترا ناتئة ومستطيلة القواعد ليسهل المراقبة في هذا السور[3].

ولقد احتوى هذان السوران أي سور تونس وبجاية على عدة بواب نذكر منها :

- **باب المنارة** : وكان أهم باب من بين تلك الأبواب فهو يحتوي على حي كبير كان يمتد من مدينة الى باب سيدي قاسم غربا والى مصلى العيدين جنوبا، حتى انه كان يعد ربضا قائما بذاته وتعود أهميته الفائقة إلى مجاورته شـــمالا لقـــصبة الـــسلطانية وغربـــا ارض السلطان أين كان يقطن كبار رجالات الدولة[4] (أنظر الملحق رقم:20) .

- **باب اللوز** : وهو المنفذ لقصبة المدينة، وهو الذي جعل ابن غانية يتخذه للدخول الـــى قصبة مدينة بجاية.

- **باب أيلان** : هو من الأبواب الداخلية لمدينة بجاية.

- **باب الدباغين** : لعل تسميته بذلك ترجع بالدرجة الأولى إلى وجود ورشات لدبغ الجلود محاذية له.

- **باب البحر**: لا يزال لحد الآن ماثلا للعيان في بجاية. (أنظر الملحق رقم:21)

- **باب المرسى**: سمي بذلك لأنه يؤدي إلى مرسى بجاية.

---

1 - عبد العزيز الدولاتي: المرجع السابق، ص202 .
2 – عبد العزيز لعرج: المرجع السابق، ص 217.
3 - علي خلاصي: القلاع والحصون في الجزائر، (د ط)،(د ج)، مطبعة الديوان، الجزائر، 2008م، ص118.
4 - عبد العزيز الدولاتي: المرجع السابق، ص119.

- **باب الجديد**: يتجلى هذا الاسم أن ذلك الباب شيد في عهد الدولة الحفصية، أو في عهد الموحدين ولم يكن من البواب القديمة التي عرفتها المدينة خلال عهد الموحدين. (أنظر الملحق رقم:23)

- **باب الميسون**: يوجد في سفح جبل الميسون شمال المدينة ونسب لهذا الجبل لأنه يؤدي إلى مرتفعه.

- **باب تاطنت**: وذكر هذا الباب عند التعرض لعبد المؤمن بن علي حيث مر في طريقه راجعا من افريقية الى بجاية فدخل المدينة بناحية باب من أبوابها وهو باب تاطنت هذا.

- **باب البنود**: لا يزال قائما لحد الآن معروفا لدى أهل بجاية حيث كانت القوافل القادمة الى بجاية تدخل عليه، ولعله كان يحتوي على مجموعة من الغرف بها الموظفين المكلفين بجبي الضرائب من التجار اللذين يدخلون المدينة أو يغادرونها[1]. (أنظر الملحق رقم:22)

- **باب الجزيرة**: هو من أقدم البواب، ويقال انه نشا مع المدينة الإسلامية إذ يقع على مفترق ثلاث محاور أولها المحور الرئيسي الذي يجتاز المدينة من الشمال الى الجنوب،ثم طريق باب الفلاق وطريق باب عليوة اللذان يعبران الربض الحنوبي ويتصلان بسبل الموصلات الريفية.

- **باب السويقة**: يفتح على منفذ محور المدينة الشمالي الجنوبي وعلى ثلاثة محاور خارجية من الجهة المقابلة لنهج الحدادين ثم نهج الحلفاويين وأخيرا نهج حمام الرميمي.

- **باب البنات**: وترجع تسميته حسب ما قاله المؤرخون الى القصر الذي بناء أبو زكريا وأهداه إلى بنات عدوه ابن غانية بعد أن هزمه ،وكان موقعه على محور داخلي ثانوي لذا لم يتبنى أي مكانة اقتصادية، ولا يتصل بأي طريق هامة للموصلات والتجارة[2].

- **باب قرطاجة**: كان يشرف على البساتين والآبار والسواقي التي تعرف بسواقي المرج، ومنه تنطلق الطريق البرية المؤدية الى الضواحي الشمالية أين توجد بقايا العاصمة البونيقية العتيقة[3].

---

1 – مختار حساني: المرجع السابق، ص190.

2 – -عبد العزيز الدولاتي: المرجع السابق، ص ص120- 121.

3 – ياقوت الحموي: المصدر السابق، ص61.

الخاتمة

من خلال دراستنا لموضوع الحياة الثقافية في عهد الدولة الحفصية خرجنا بعدة استنتاجات كانت حوصلة لمذكرتنا نبرزها كالآتي:

لقد كانت من بين عوامل نمو الحركة العلمية والثقافية في الدولة الحفصية عناية السلاطين بالثقافة والعلم إضافة إلى رعايتهم للآداب وتقديرهم لأصحابها، وتشجيعهم للوافدين من الأندلس ومن المشرق والتوفير لهم الظروف الملائمة للبحث والعلم، وكانت للمؤسسات العلمية الفضل في تطوير الحركة العلمية، وعدت الرحلة العلمية من أهم مصادر الإستكشاف والمعرفة، فقد ساهمت في تكوين العلماء والفقهاء والأدباء وتوسيع معارفهم وعلومهم من خلال إحتكاكهم بالشيوخ والعلماء في المشرق والأندلس.

أما عن التعليم فكان هو أساس تطور الحركة العلمية ومما شجع على التعليم وكثرة أماكن التعليم فيها من كتاتيب ومدارس وزوايا ومساجد، وأيضا إهتمام السلاطين بهذا الجانب وهذا أبرز أن السلاطين كانوا يجلبون للطلبة أحسن الأستاذة والشيوخ والمعلمين.

ولقد تطور وتنوع التعليم أيضا في هذا العصر حيث ظهر التعلم الشعبي والذي كان عبارة عن دروس تقدم في الوعظ لعامة الناس المتعلم منهم وغير المتعلم، أما النوع الثاني فكان يسمى بالتعليم الإحترافي الذي كان للخاصة: أي للطلبة النجباء وتكوينهم تكوينا أكاديميا، وقد مر التعليم بمراحل: الأولى تمثل المرحلة الابتدائية وكان يلقى فيها الصبية مبادئ الدراسة التي تمثل في تعلم القرآن والخط، وكانت تمارس هذه المرحلة في الكتاتيب والمرحلة الثاني والتي تأتي بعد الكُتّاب وتكون هذه المرحلة بالمساجد والمدارس.

أما المرحلة الثالثة فهي مرحلة التخصص في دراسة العلوم، وأما عن طريقة ومنهج التدريس فكانت تتسم بطريقة التدريج في تلقي العلوم واختيار المواضيع والقرارات المراد تدريسها وطريقة الحفظ والمناقشة والمحاورة والإلقاء والشرح، ولقد عرفت الدولة الحفصية تعليم المرأة وبرزت في بجاية عائشة البجائية التي كانت فقيهة ولها نظم في

الشعر وكما أجيز العديد من الطلبة حيث أن الإجازة تقدم عند انتقال مـــن مرحلـــة إلـــى مرحلة أخرى.

ولقد كانت إسهامات العلماء وجهودهم فعالة في مختلف العلوم سواء كانت نقلية أو عقليـــة فأزدهرت العلوم الدينية من تفسير وعلوم الحديث والفقه ونالت النصيب الأوفر والتدريس وكذا التأليف وحظي باهتمام وعناية الدولة الحفصية وإنتشرت الحركة الصوفية إنتـــشاراً مذهلاً في مناطق وأرجاء الدولة الحفصية، وبرع علماء الدولة الحفصية وأدبائها خاصـــة علم النحو وتوسعوا في دارسته، وكانت مساهمتهم بارزة وفعالة في الإنتاج الأدبي نثـــرا و شعرا في مختلف أغرضه المدح النبوي والوصف والشعر الصوفي.

رغم أن جهود العلماء الحفصيين إنصبت بشكل أكبر في العلوم الدينية إلا أن هـــذا لا يلغي إسهاماتهم في العلوم الاجتماعية والعلوم العقلية كالتاريخ والمنطق والطب والصيدلة والفلك وكان لهم تأثير كبير في الحركة العلمية والأدبية والفكرية والثقافية أمـــا الجانـــب العمراني فعرفت الدولة الحفصية تطورا عمرانيا شمل جميع الهياكل خاصـــة المـــساجد والقصور وحتى الزوايا التي عنيت بعناية خاصة من طرف سلاطين بني حفـــص الـــذين أبدعوا في اقتناء الزخارف والتصاوير التي أبهرت العديد من الرحالة في حسنها وبهـــاء طلتها.

لقد تطورت الدولة الحفصية من ناحية العمران وبلغت أعلى مرتبة في عهـــدي أبـــو زكرياء الأول و إبنه المستنصر، وكلاً حسب طريقته وذوقه واعتقاداته هذا الأمر جعـــل الدولة الحفصية إحدى الدول المهمة في العالم الإسلامي.

لقد كان للمهاجرين الأندلسيين دور في طبع جميع ميادين الفن والثقافة والعمارة بصفة أندلسية خاصة، وارتقى الفن الإفريقي بفضلهم وعرف تجديدات وإبداعات حقيقية جعلتـــه ماثلا للعيان إلى الآن، كما تأثر الفن بالـــدول المجـــاورة لمـــصر والمغـــرب الأقـــصى. و كانت ميضاة السلطان الحفصي التي اعتبرت زمن تأسيسها مثالا يحتذى به ودليلا بليغا علي عمق تأثيرات العمارة المصرية على العمارة الحفصية.

كما إعتنى سلاطين بني حفص بالعمارة العسكرية التي بفضلها حافظت المدينة علـــى إستقرارها ولهذا شيد الأسوار كسور بجاية وسور تونس.

وكانت الموسيقى في الدولة الحفصية تنشط في القصر، وهي متأثرة بالفن الأندلسي إضافة إلى المشرقي.

الملحق رقم: (01) المدرسة الشماعية

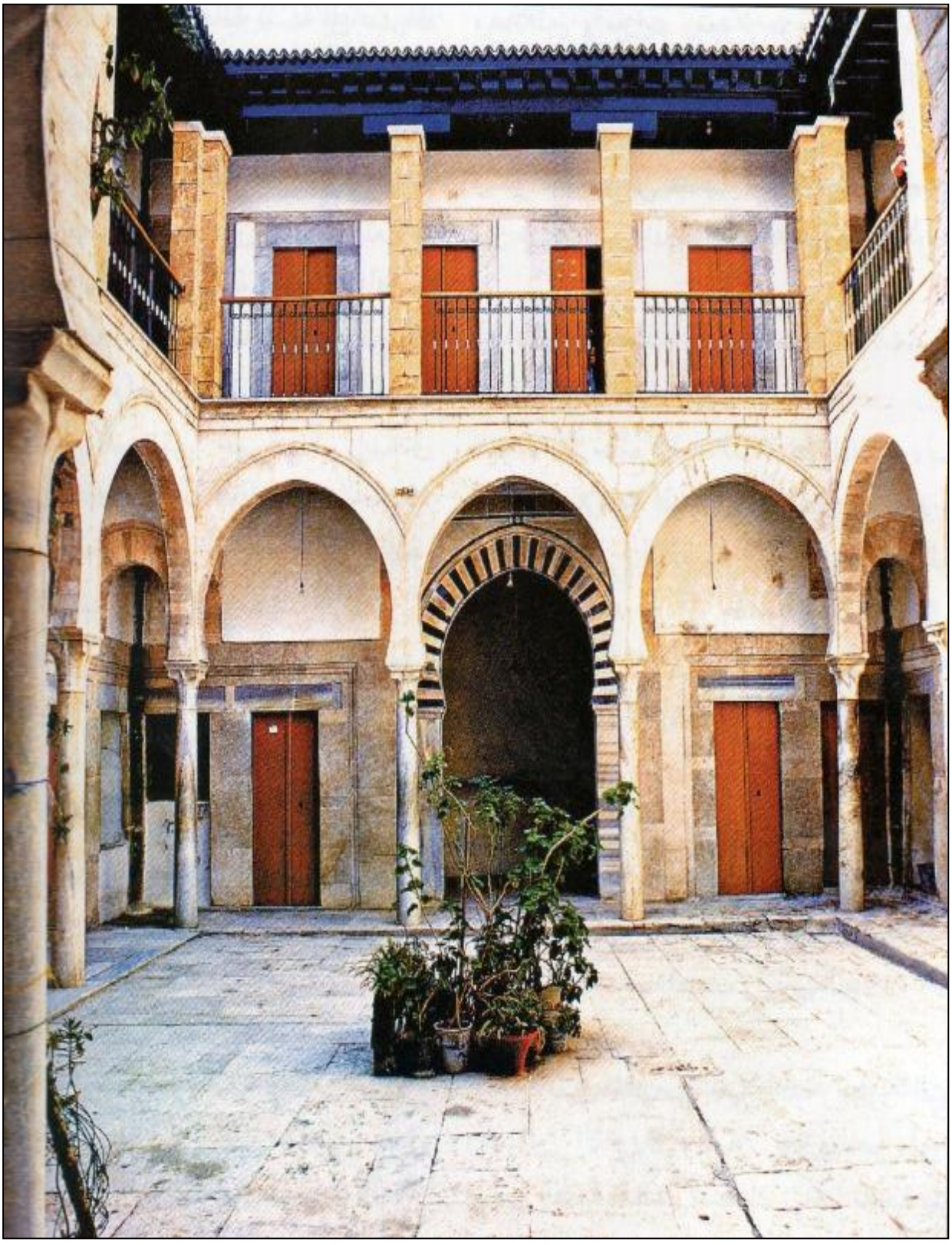

[1] - خليفة الشاطر وآخرون: المرجع السابق، ص128.

الملحق رقم : (02) مخطط المدرسة المنتصرية

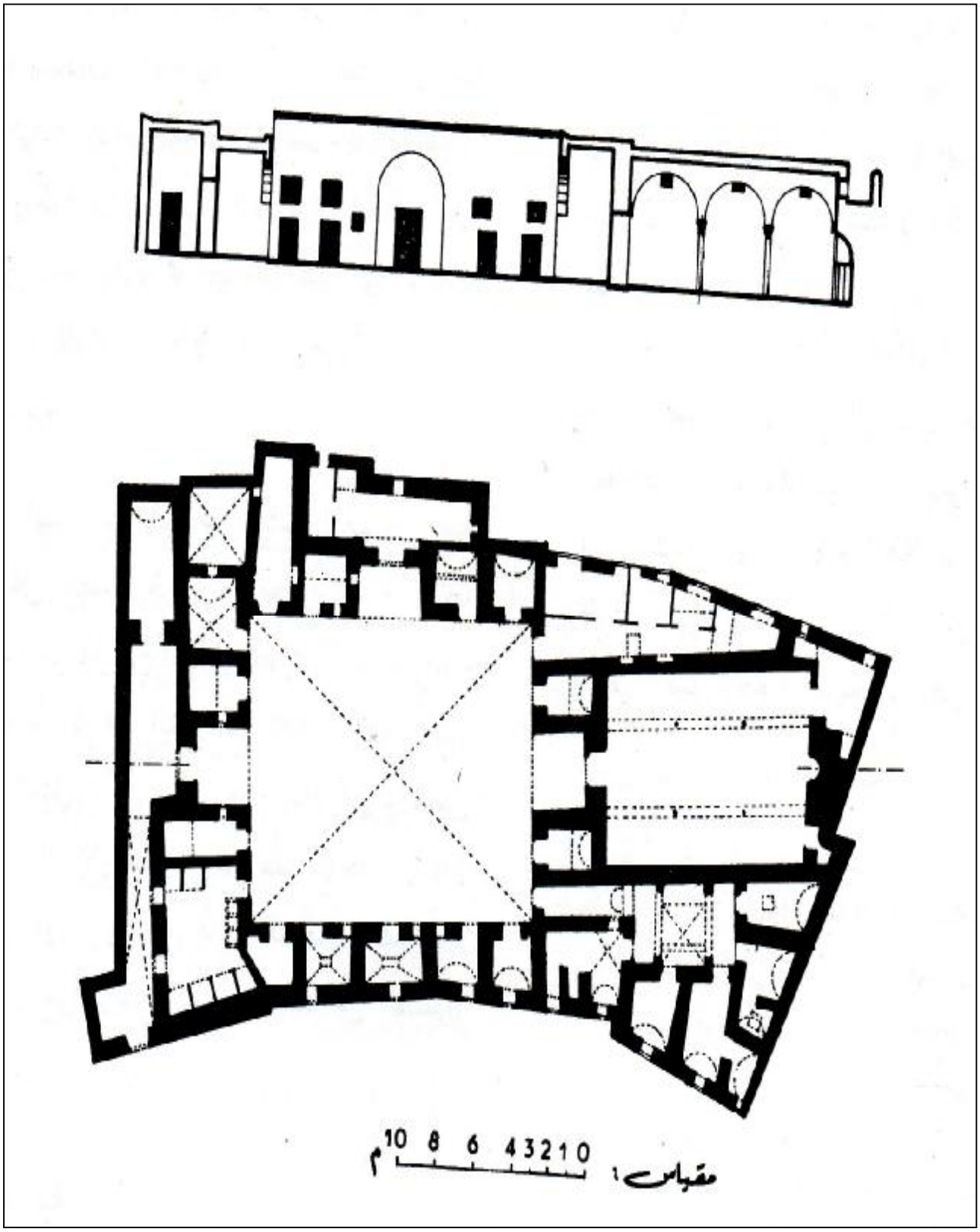

[1] - عبد العزيز الدولاتي: المرجع السابق، ص196.

الملحق رقم: (03) **رحلة عبد الله التجاني**

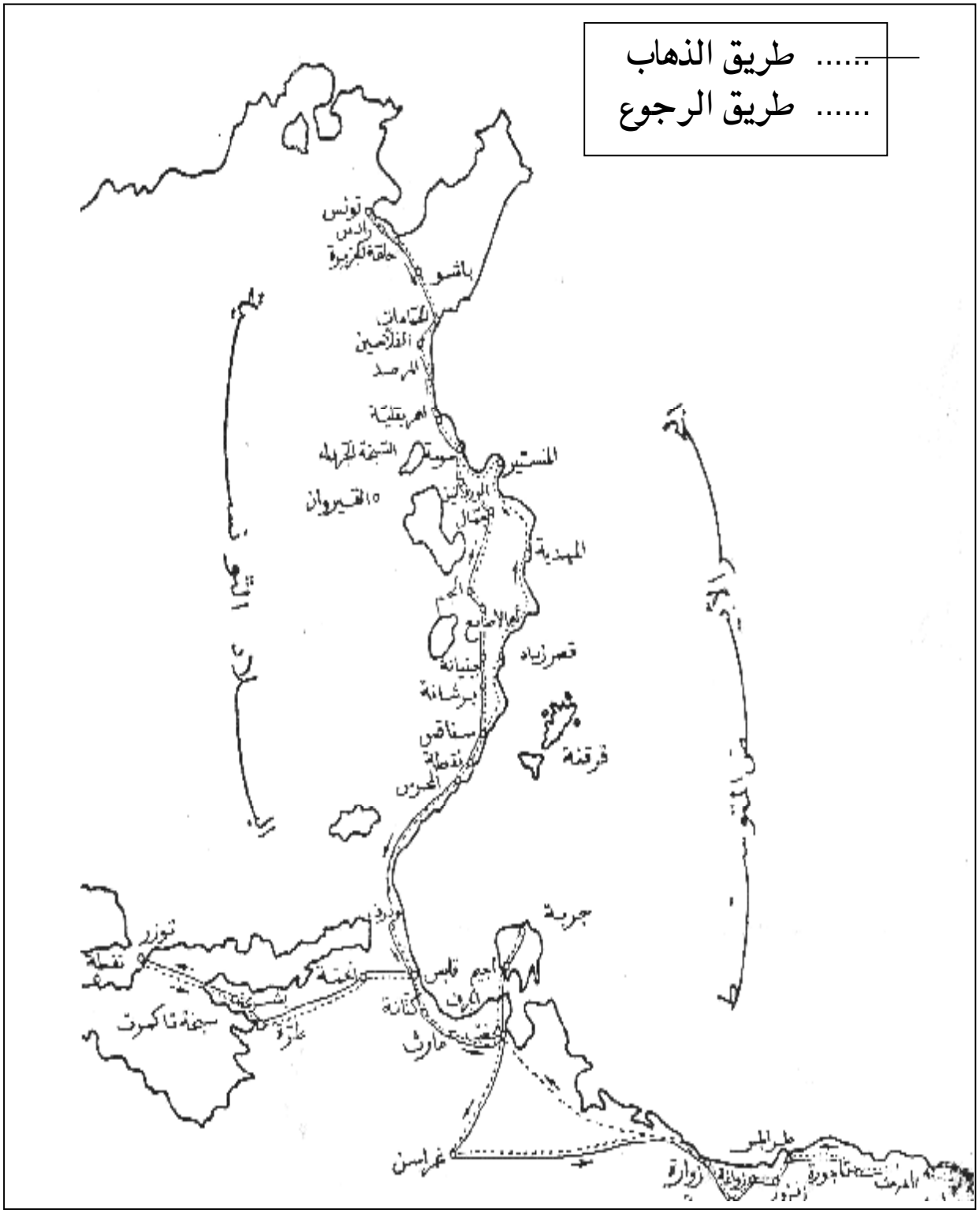

1 – عبد الله التجاني: المصدر السابق، ص287.

الملحق رقم: (04) **الصفحة الأولى من " الرحلة المغربية " للعبدري**

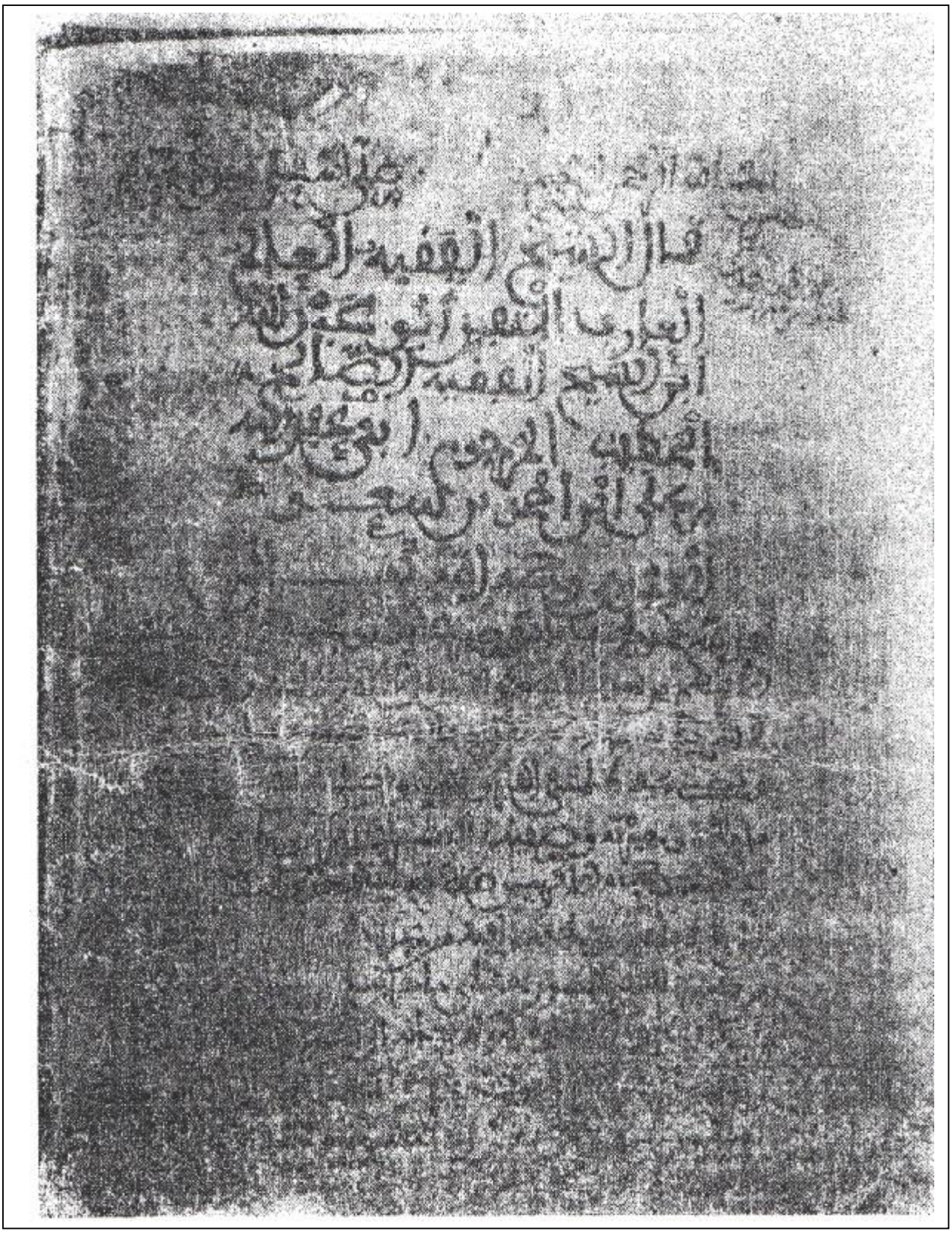

[1] - محمد بن شقرون: المرجع السابق، ص 87.

الملحق رقم : (05) الصفحة الأخيرة من " الرحلة المغربية " للعبدري

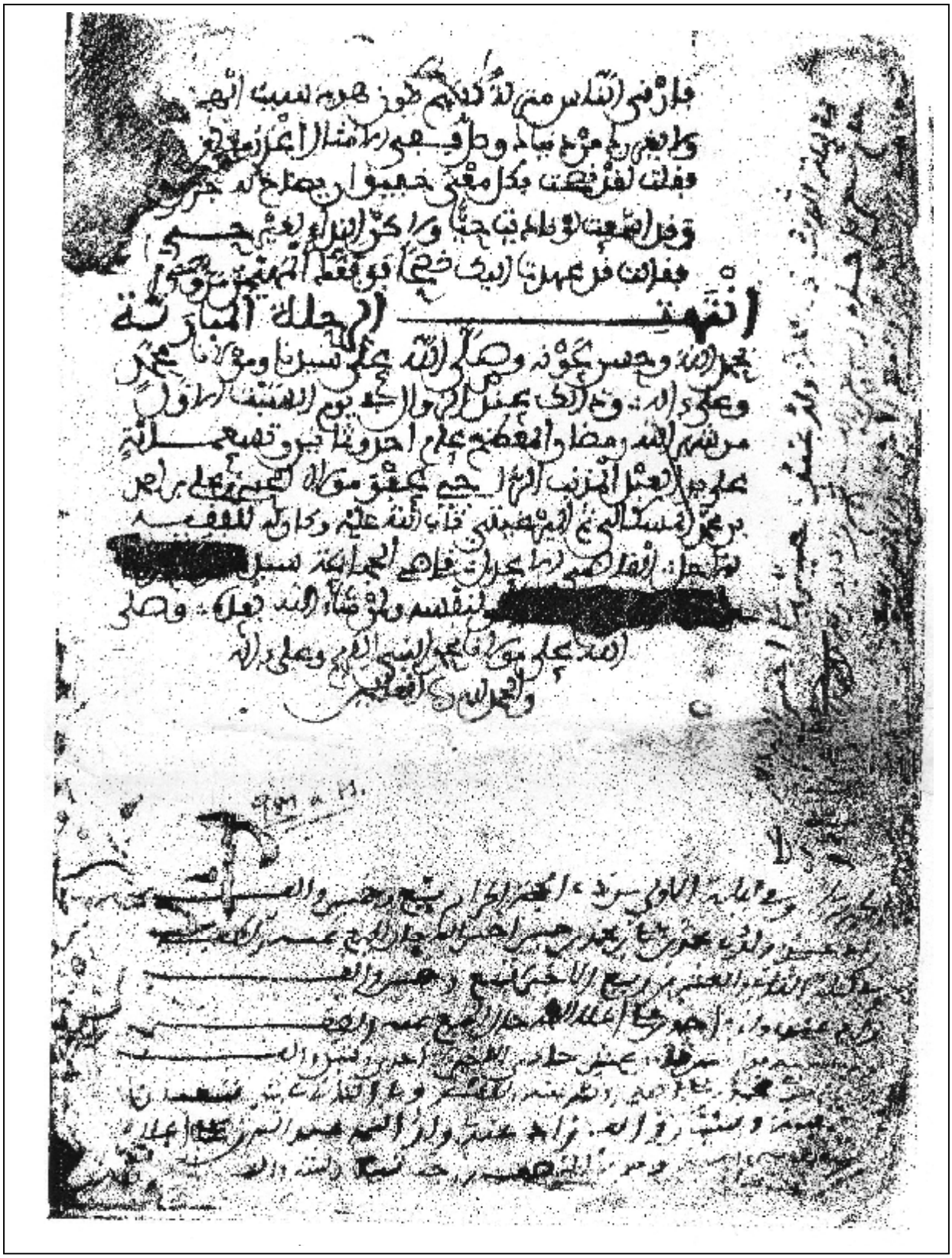

[111] - محمد بن شقرون: المرجع السابق، ص 88.

الملحق رقم: (06) جامع القصبة

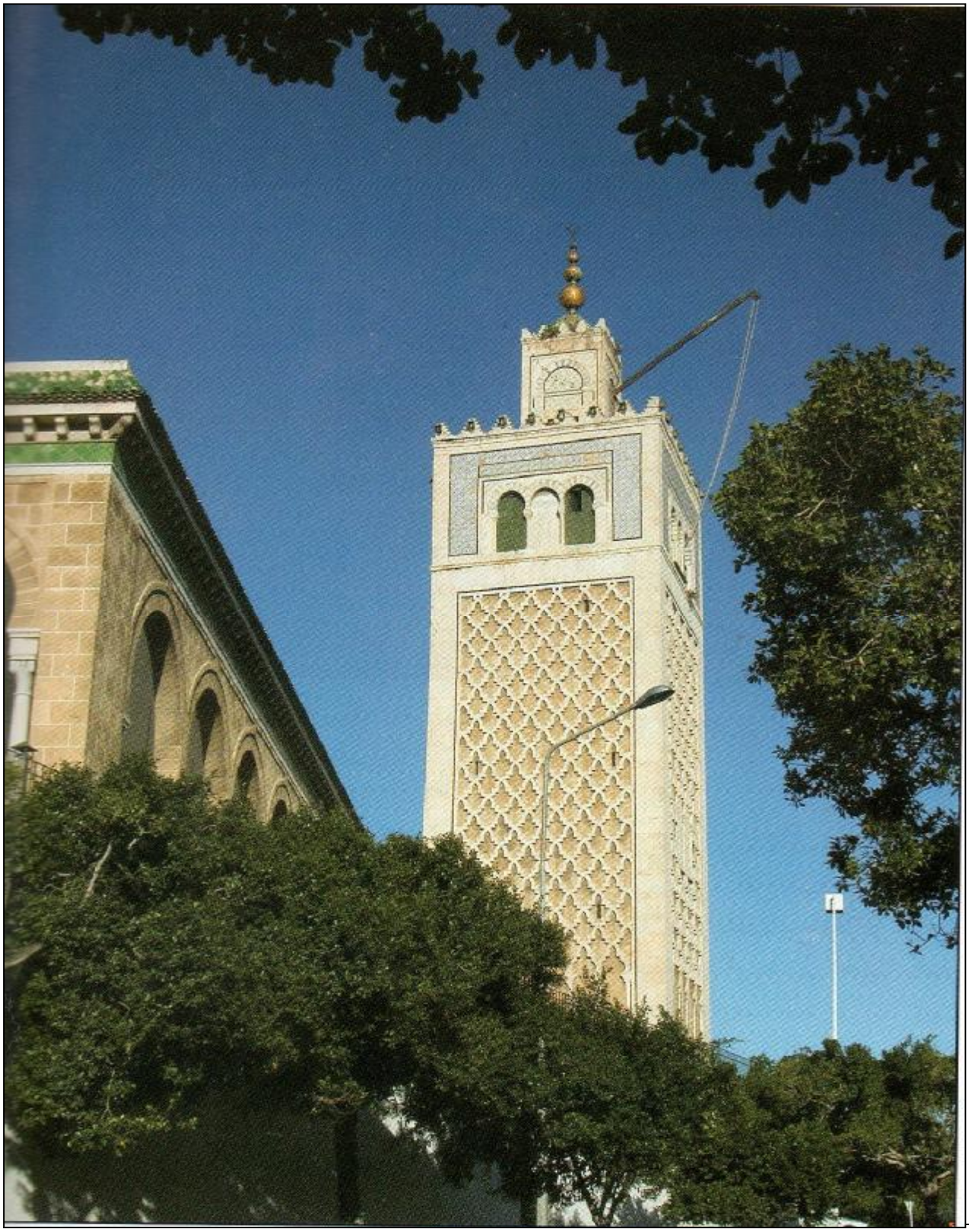

1 – خليفة الشاطر و آخرون: المرجع السابق، ص112.

الملحق رقم: (07) **مخطط جامع القصبة**

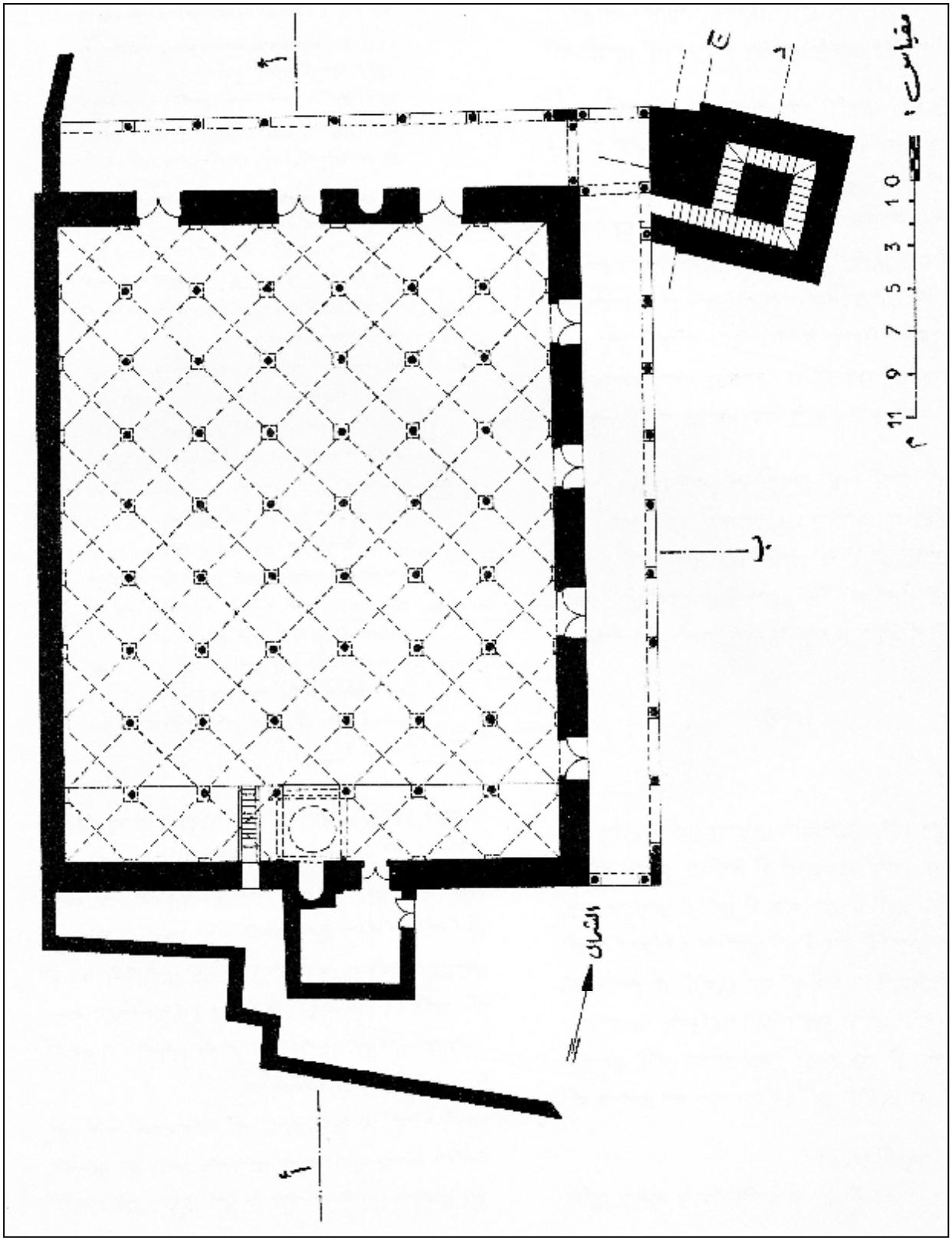

[1] - عبد العزيز الدولاتي : المرجع السابق، ص151.

الملحق رقم: (08) **مخطط منارة جامع القصبة**

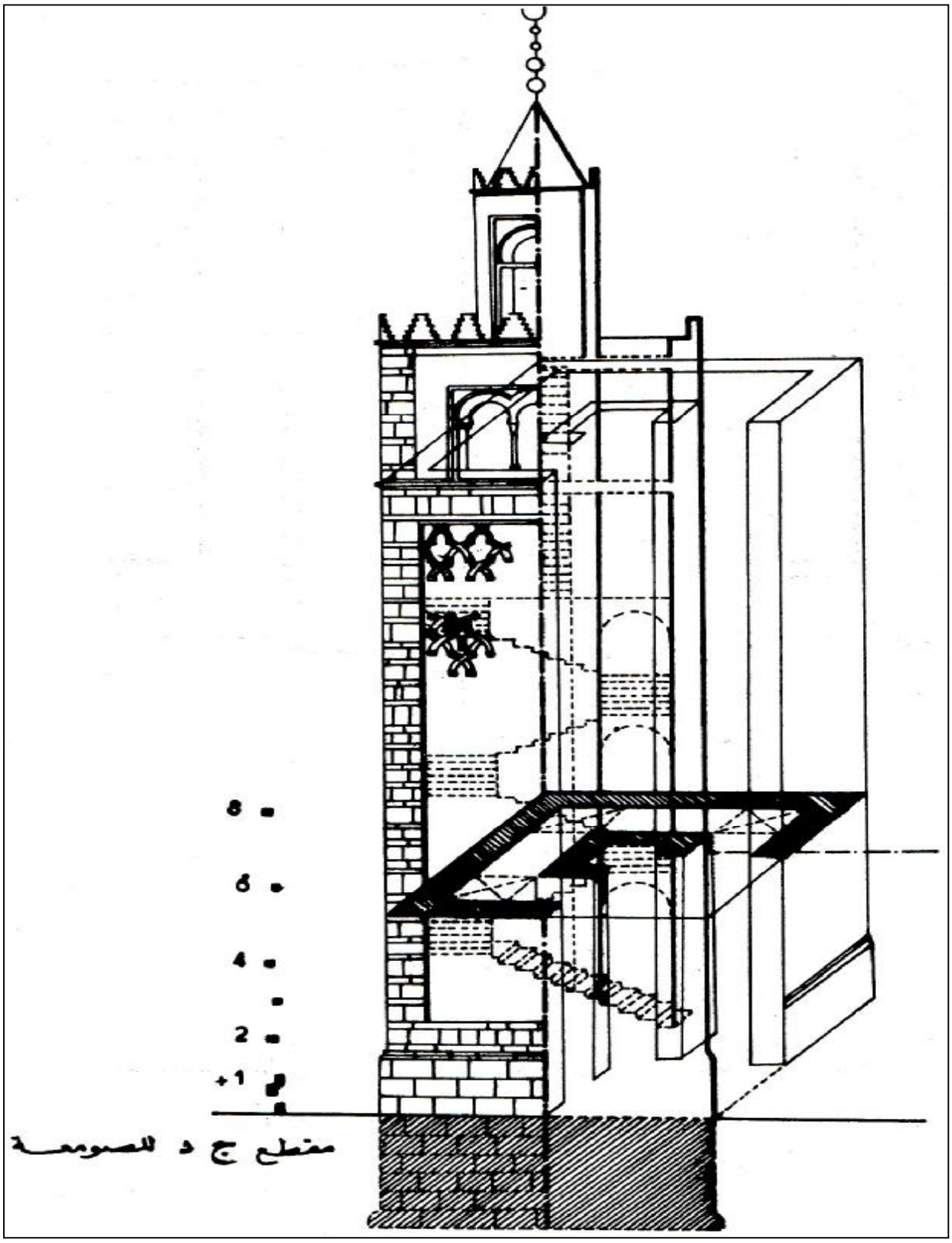

[1] - عبد العزيز الدولاتي : المرجع السابق، ص157.

الملحق رقم : (09) نقيشة فوق المحراب في جامع القصبة

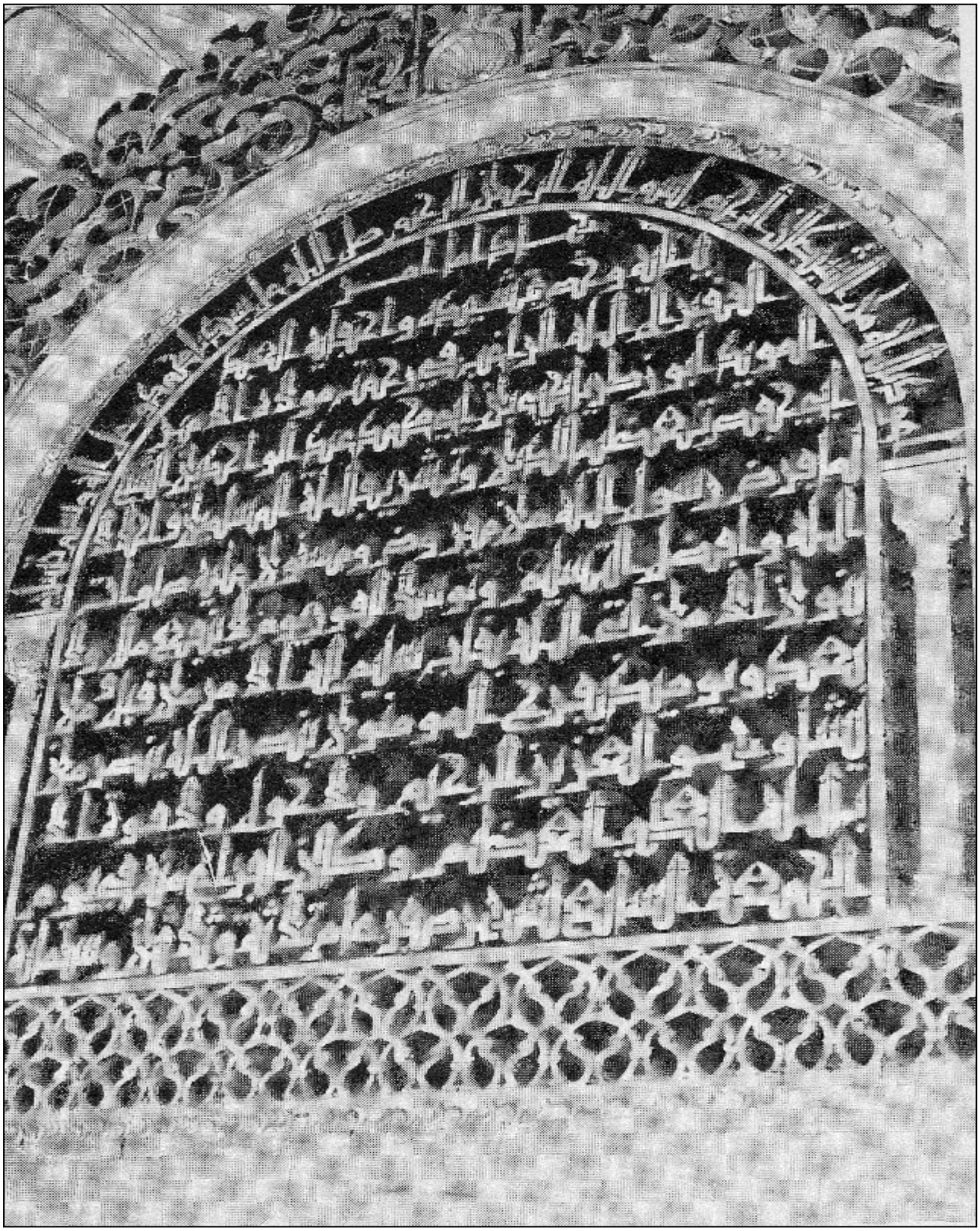

1 - عبد العزيز الدولاتي: المرجع السابق، ص220.

الملحق رقم: (10) جامع التوفيق

[1] – خليفة الشاطر و آخرون: المرجع السابق، ص153.

الملحق رقم : (11) قبة المحراب في جامع الهواء

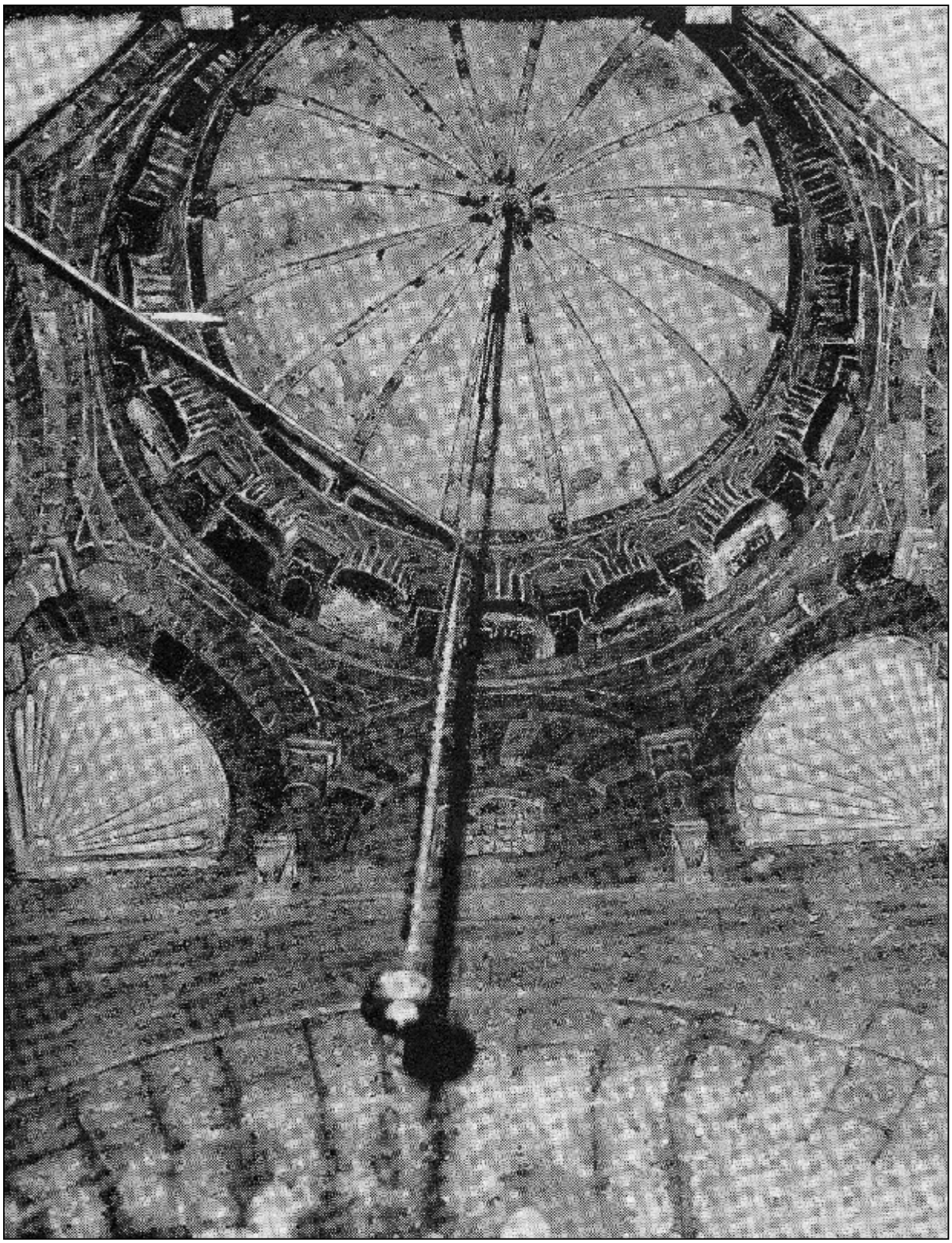

[1] - عبد العزيز الدولاتي: المرجع السابق، ص224.

الملحق رقم : (12) واجهة جامع الزيتونة

1 - خليفة الشاطري: المرجع السابق، ص176.

الملحق رقم : (13) الواجهة الحفصية لجامع الزيتونة

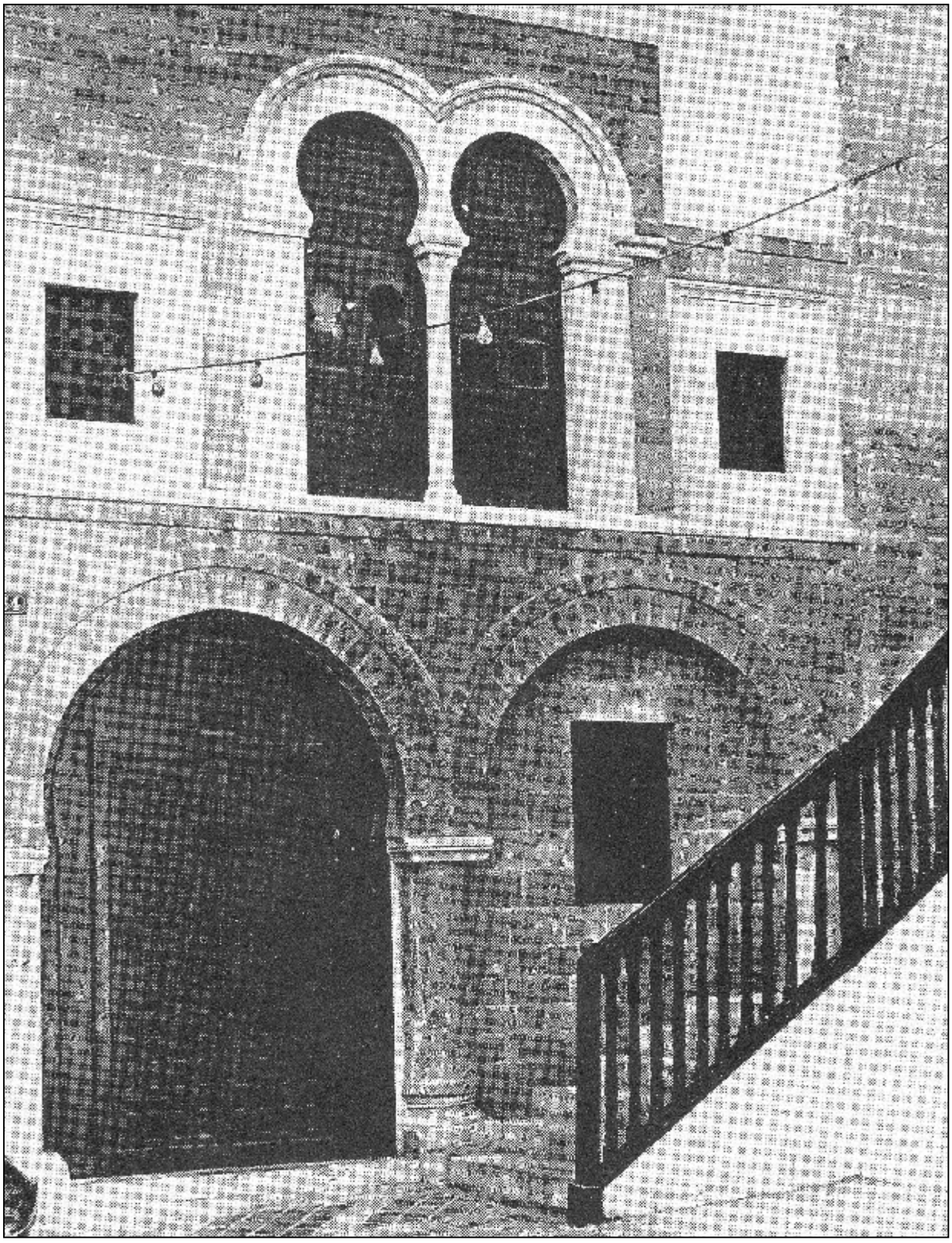

1 - عبد العزيز الدولاتي: المرجع السابق، ص200.

الملحق رقم : (14) بيت الصلاة بجامع الزيتونة

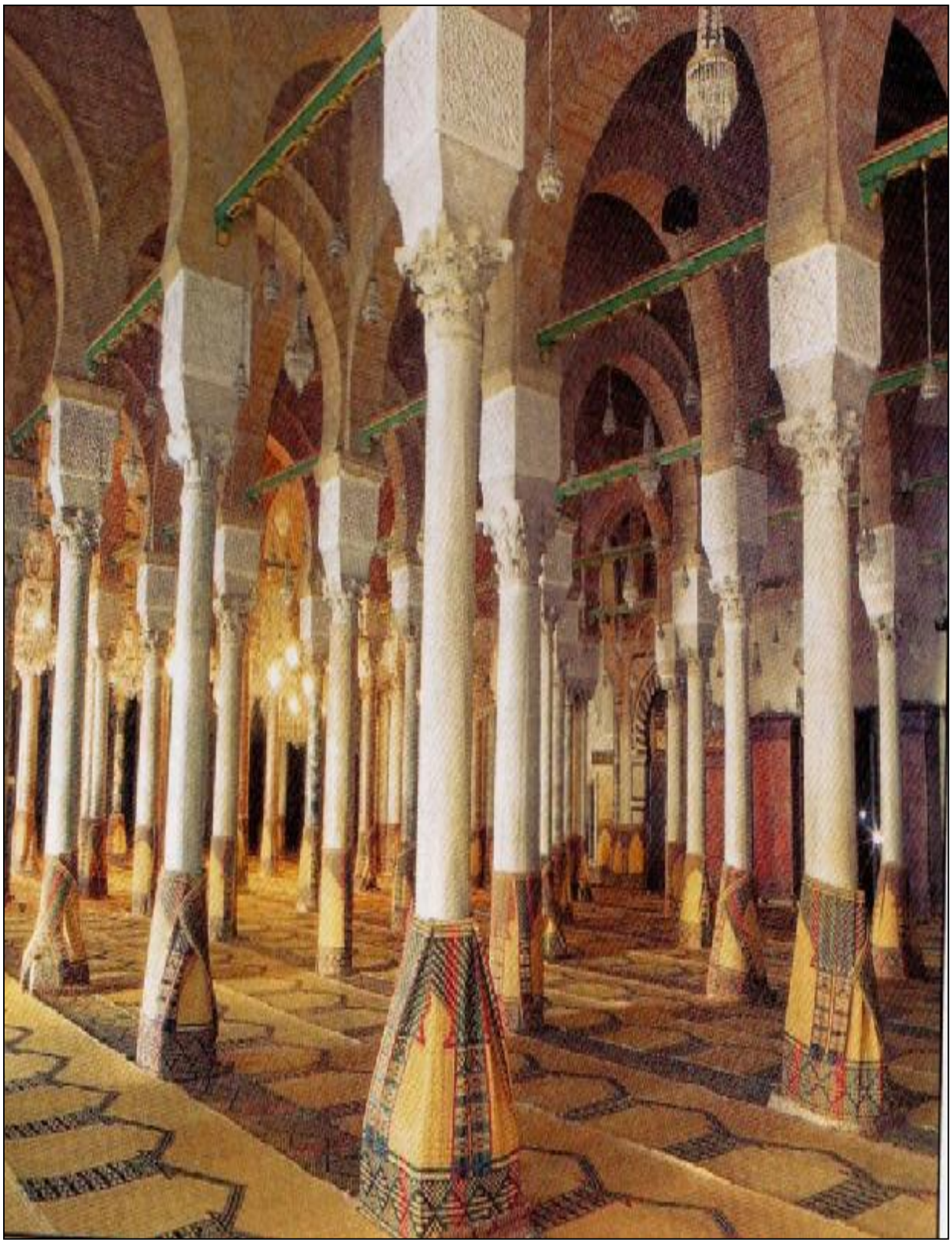

1 - خليفة الشاطر و آخرون: المرجع السابق، ص177.

الملحق رقم : (15) أبواب أبي يحي زكرياء

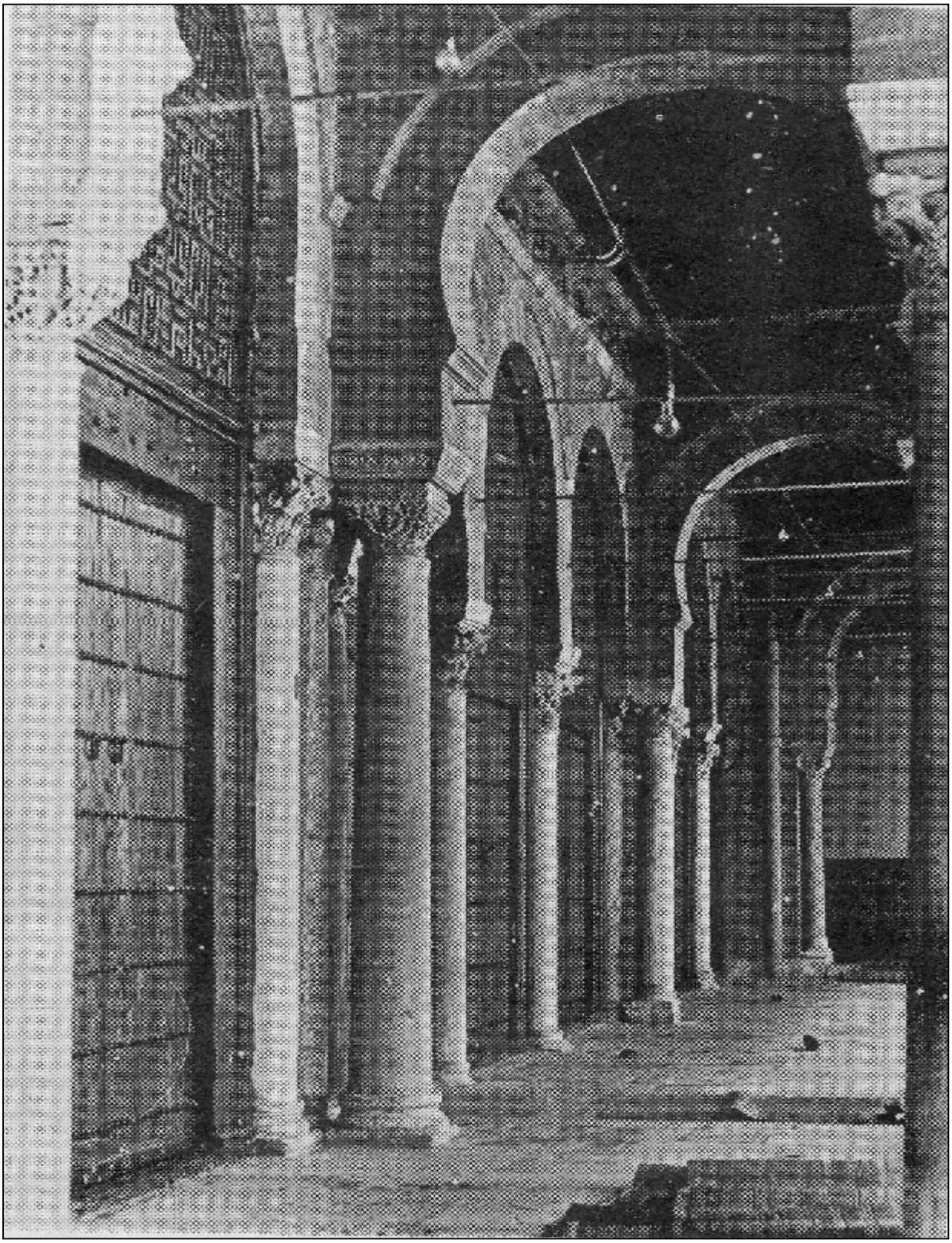

1 - عبد العزيز الدولاتي: المرجع السابق، ص243.

الملحق رقم : (16) باب الرواق الرئيسي لجامع الزيتونة يعود إلى عهد أبي يحي زكرياء

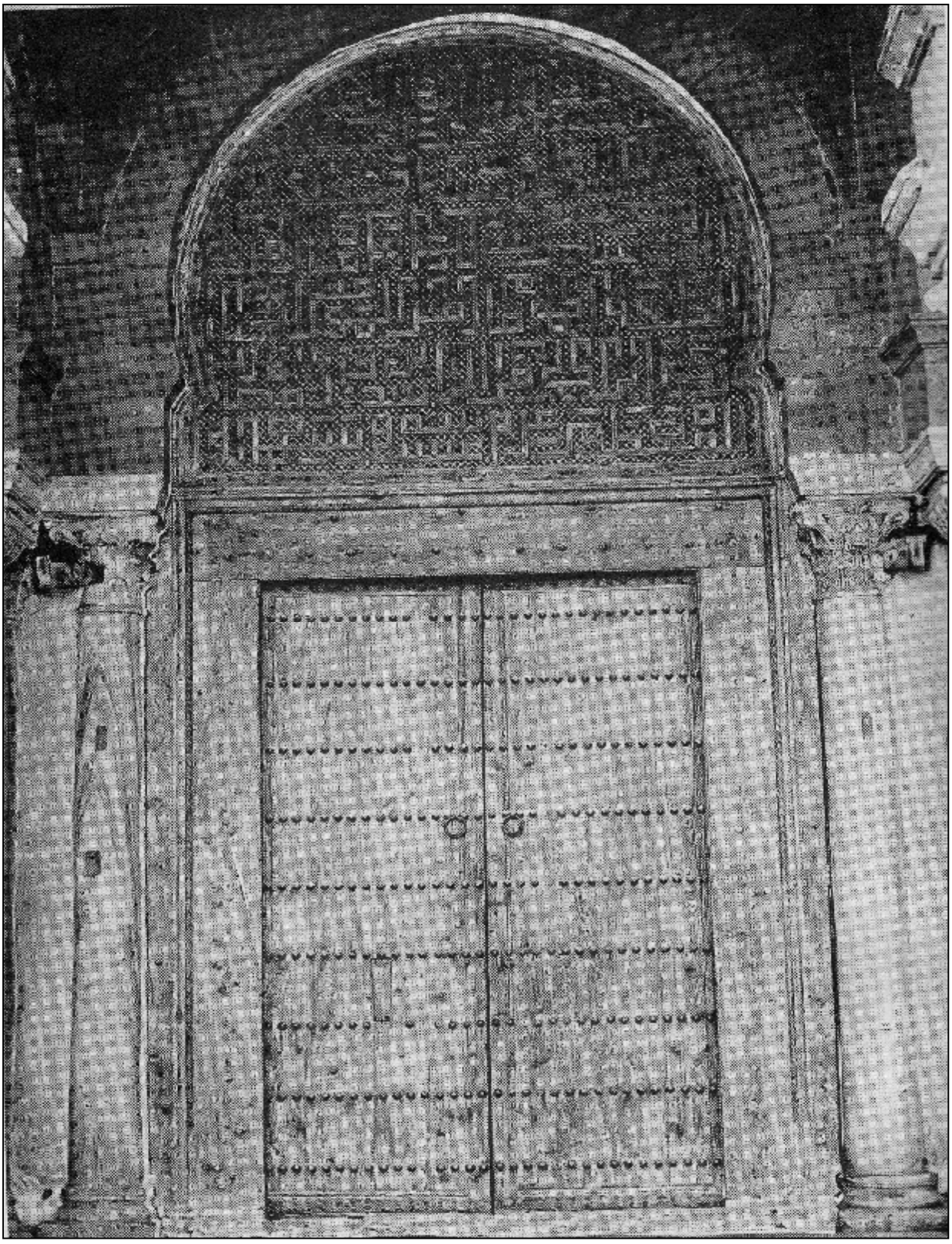

[1] - عبد العزيز الدولاتي: المرجع السابق، ص241.

الملحق رقم: (17) باب مقصورة أبي عمر و عثمان

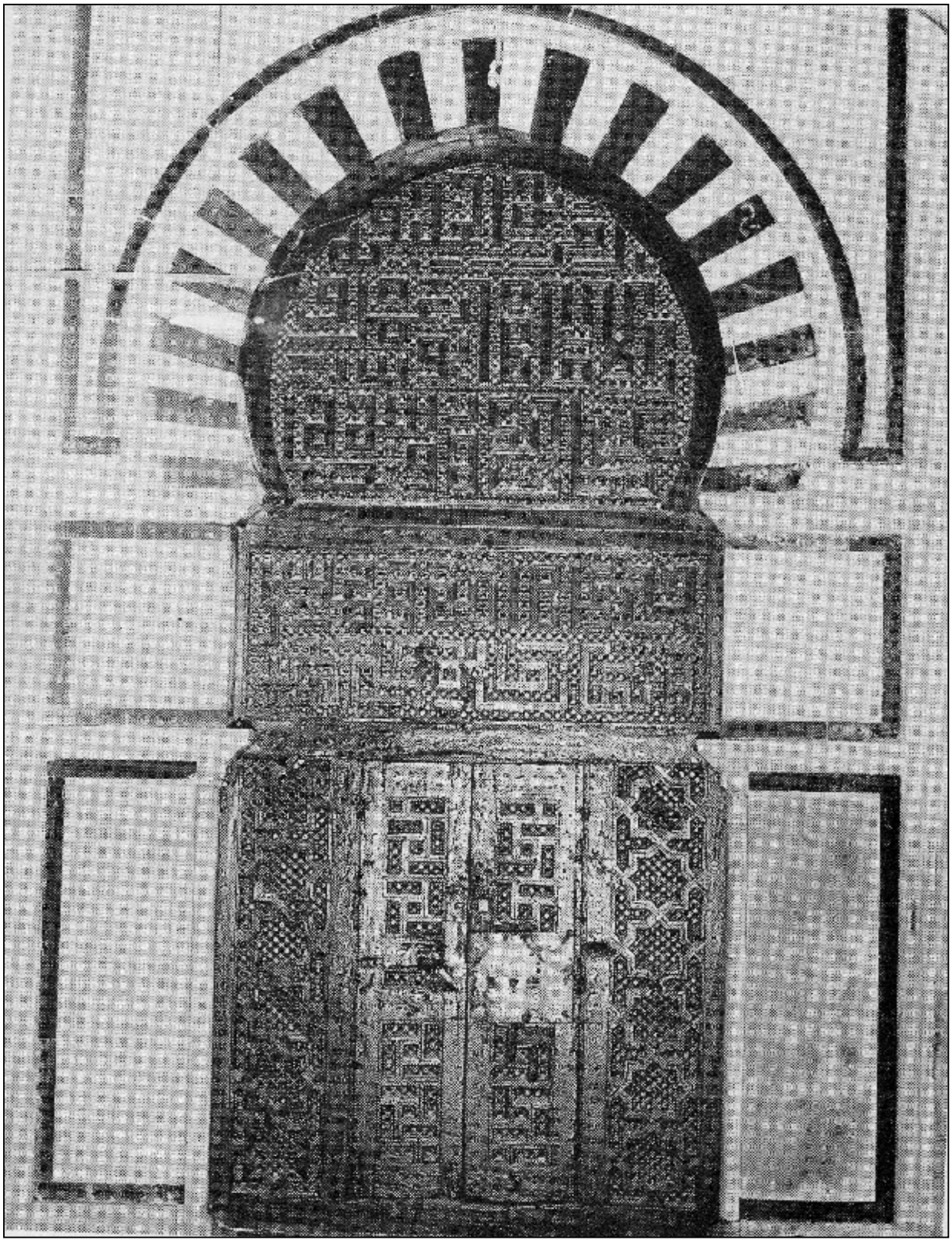

1

1 - عبد العزيز الدولاتي: المرجع السابق، ص240.

الملحق رقم : (18) زاوية سيدي القاسم الزليجي

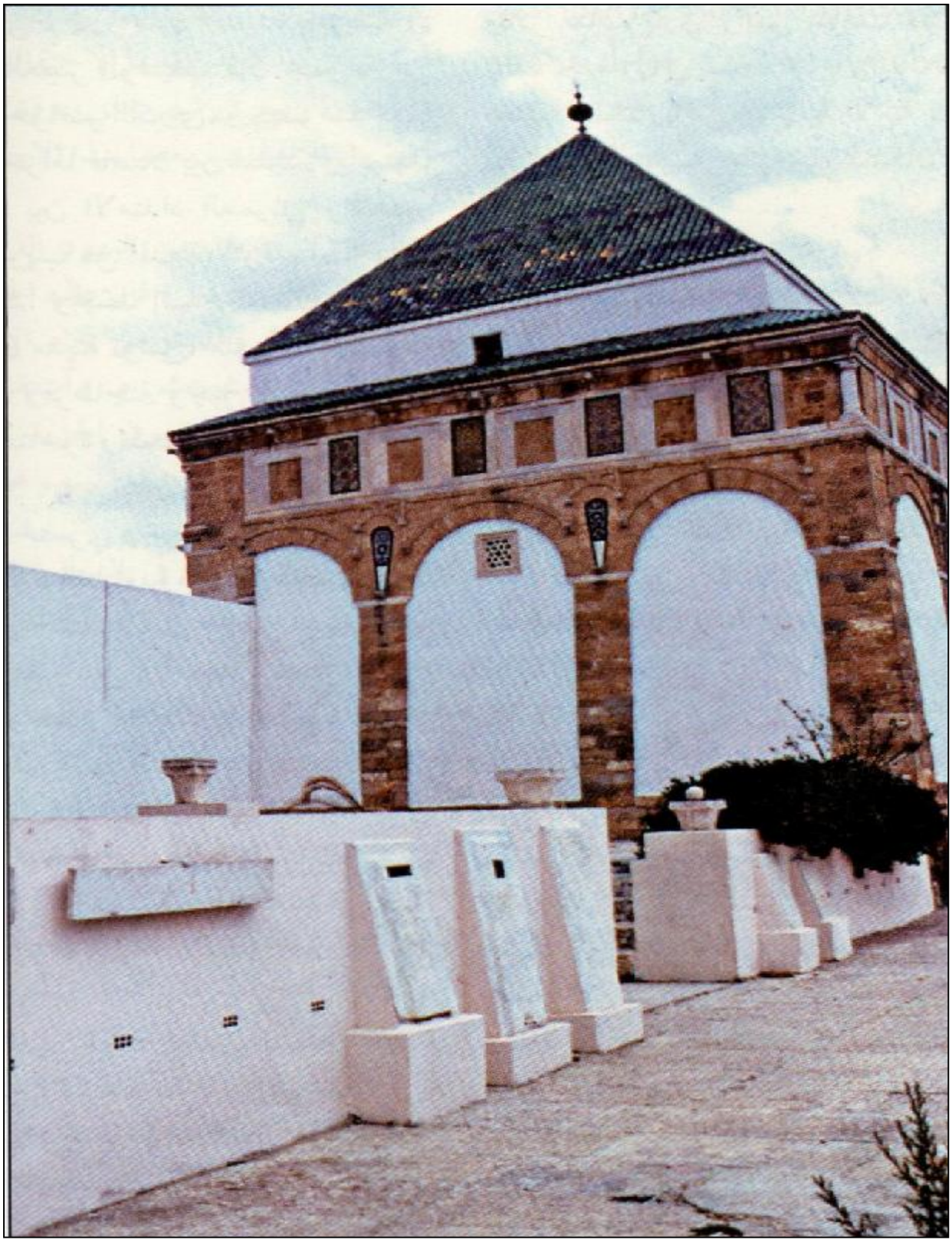

1

[1] - خليفة الشاطر وآخرون: المرجع السابق، ص124.

الملحق رقم: (19) **مخطط زاوية سيدي القاسم الزليجي**

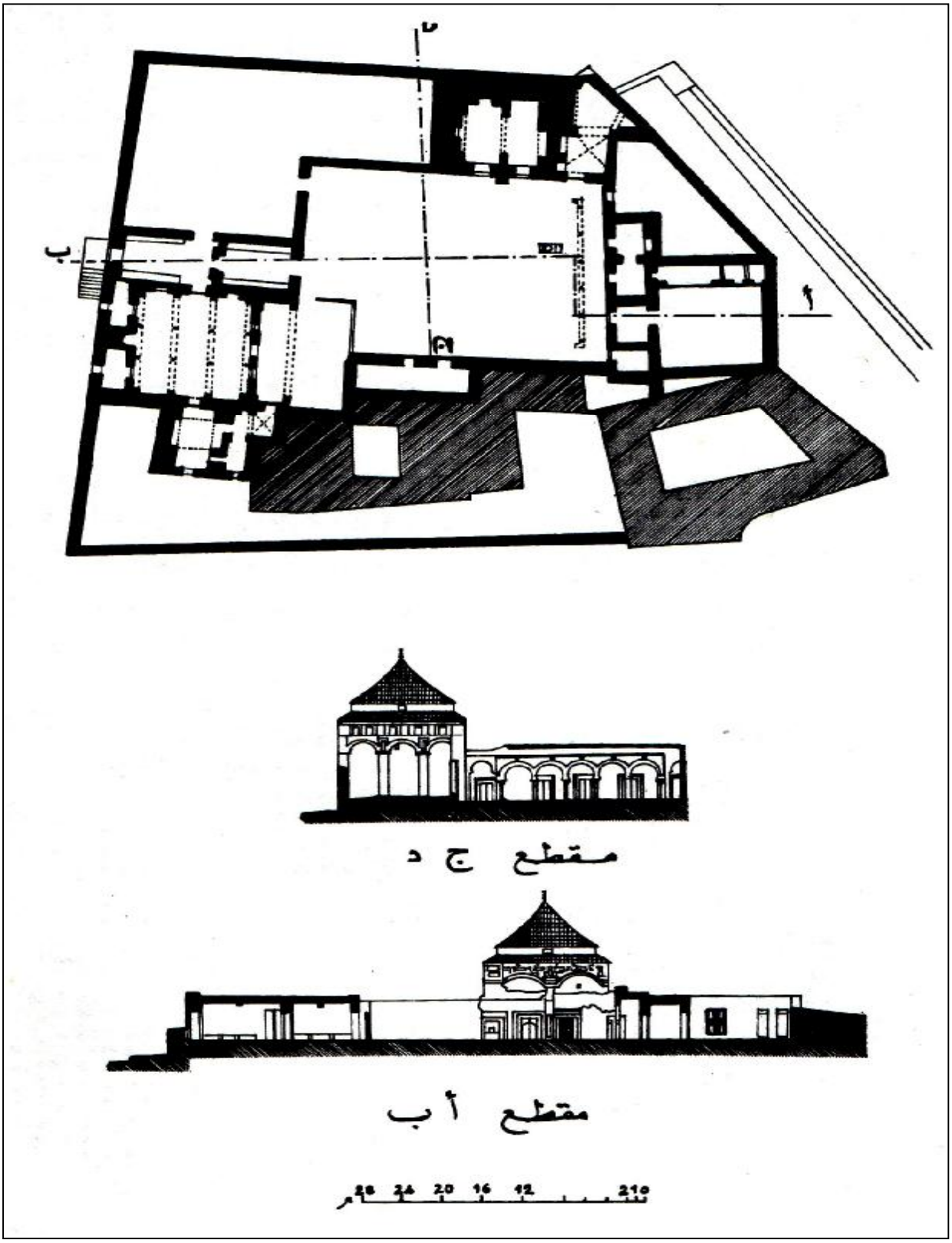

1 - عبد العزيز الدولاتي: المرجع السابق، ص177.

الملحق رقم: (20) باب المنارة

1 - عبد العزيز الدولاتي: المرجع السابق، ص245.

الملحق رقم: (21) باب البحر (باب السراجين)

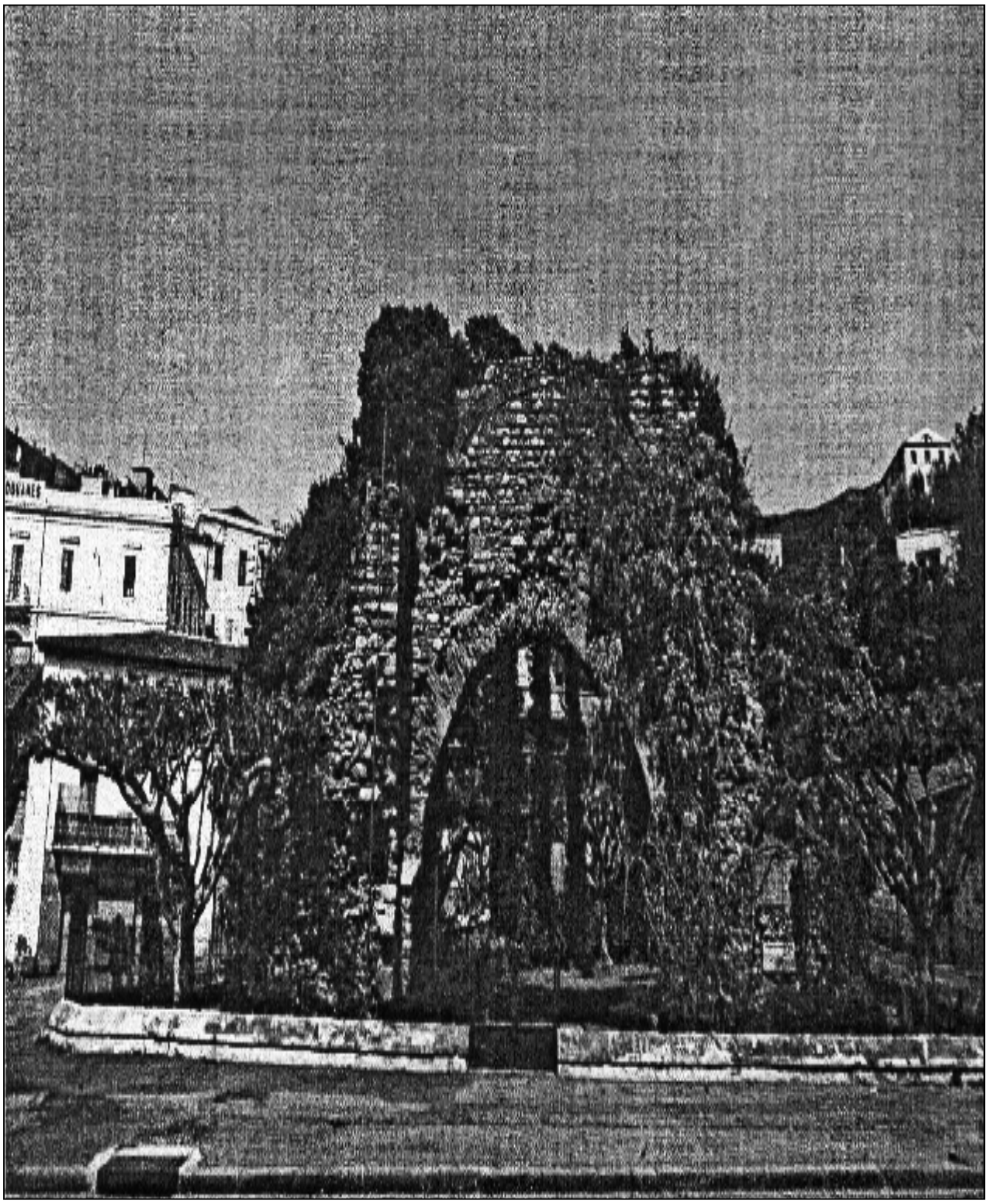

1 - وزارة الأخبار: بجاية سلسلة الفن و الثقافة، مطبعة ألتا مترا، إسبانيا، 1980م، ص23.

الملحق رقم: (22) باب البنود

1 – وزارة الأخبار: المرجع السابق، ص30.

الملحق رقم: (23) باب الجديد

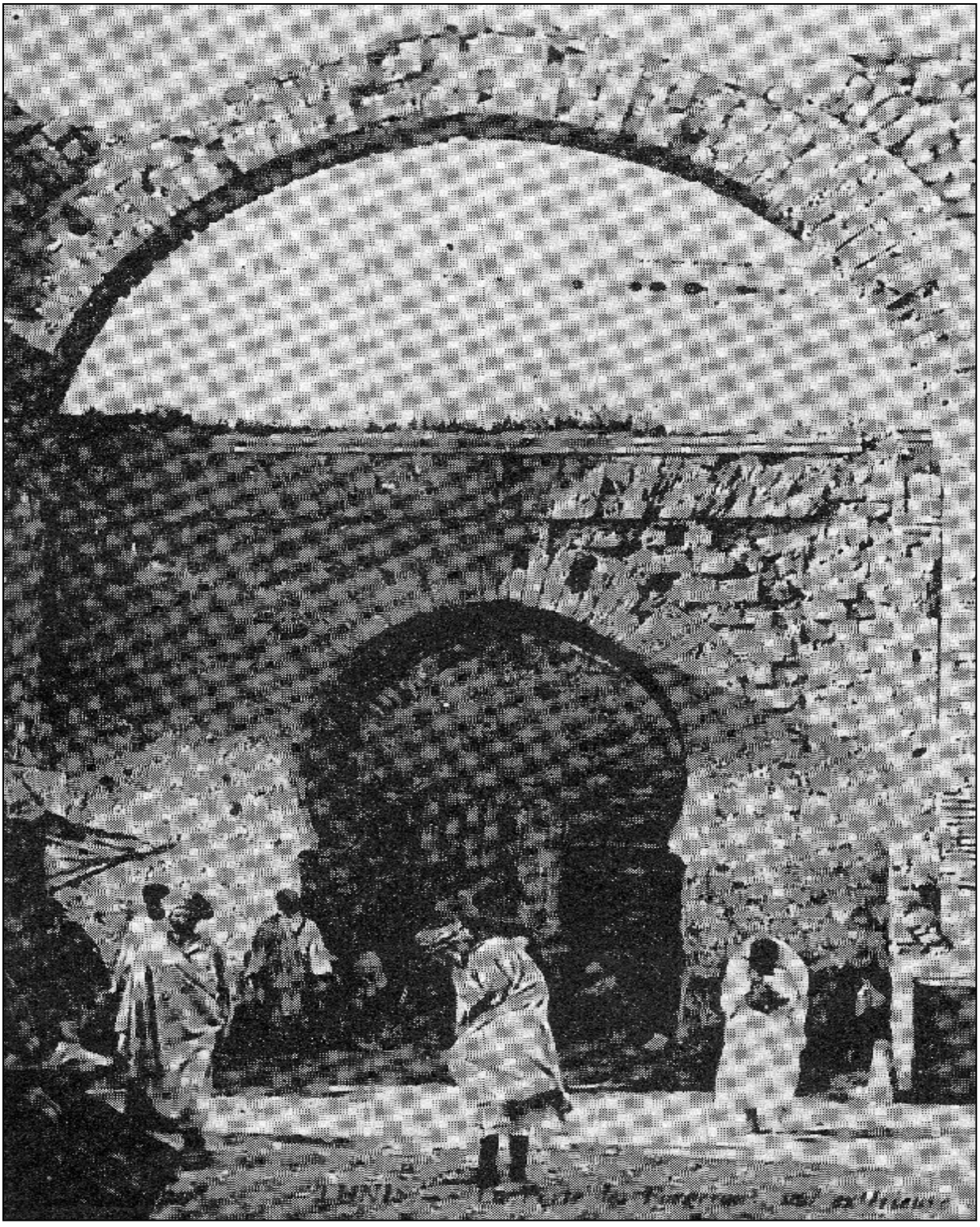

1 - عبد العزيز الدولاتي: المرجع السابق، ص246.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر و المراجع

أ – القرآن الكريم برواية ورش

ب - المصادر:

1- ابن الآبار القضاعى: الحلة السيراء، تح وتع: حسين مؤنس،ط1،ج2، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة مصر، 1963م.

2- ابن أبي دينار: المؤنس في أخبار افريقية وتونس، ط1،(د ج)، مطبعة الدولة التونسية، تونس،1982م.

3- ابن أبى الضياف: إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، تح: لجنة من كتابة الدولة للشؤون الثقافية والأخبار، ط2،ج1، الدار التونسية للنشر، تونس1976م.

4- ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة المسماة بتحفة النظار في غرائب الأمصار، شر: طلال حرب، ط3، (د ج)، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، 2002م.

5- ابن تيمية: الفرق بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان،(د ط)،(د ج)، دار البعث قسنطينة،1987م.

6- ابن جماعة إبراهيم: المنهل الروي في مختصر علوم الحديث النبوي، تح: محي الدين عبد الرحمن رمضان، ط2، (د ج) دار الفكر، دمشق،1986م.

7- ابن خلدون عبد الرحمن: العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر،ط3، ج6، دار الكتب العلمية،بيروت لبنان،2006م.

8- ـــــــــــــ : المقدمة، تح :أبي عبد الرحمن عادل ابن سعد (د ط)،(د ج)، الدار الذهبية،القاهرة مصر،2006م .

9- ابن خلدون يحي: بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، تق و تح : عبد الحميد حاجيات، (دط)،(دج)، المكتبة الوطنية، 1980م.

10- ابن خوجة محمد: معالم التوحيد في القديم والجديد، تح و تق: الجيلاني بلحاج يحي والحمادي الساحلى، ط2 (دج) دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان،1985م.

11- ابن الزبير أبو جعفر احمد: صلة الصلة، تح: ليفي بروفنسال،(د ط)،(دج)، المطبعة الاقتصادية، الرباط،1938م.

12- ابن سحنون محمد: آداب المعلمين، تق وتح: محمود عبد المولي، (د ط)،(د ج)، مطبعة الرأي الجديد، الجزائر،(د س ن).

13- ابن الشماع أبو عبد الله محمد بن أحمد: الأدلة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية، تح و تق: الطاهر بن محمد المعموري،(د ط)،(د ج)، الدار العربية للكتاب، تونس،1984م.

14- إبن قنفذ القسنطينى : الوفيات، جم و تص : هنري بيريس، (د ط)، (د ج) المطبعة الثعالبية، مصر، (د س ن).

15-_____: انس الفقير وعز الحقير، تص: محمد الفاسي وادولف فور، (د ط)، (د ج)، مطبعة أكدال، الرباط، 1965م.

16 /_____: الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، تق وتح: محمد الشادلي النيفر وعبد المجيد التركي (د ط)، (د ج)، الدار التنسية للنشر، تونس،1968م .

17- ابن مخلوف محمد: شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، ط1، (د ج)، دار الكتاب العربى بيروت،1943م .

18- الأندلسي محمد بن محمد (الوزير السراج): الحلل السندسية في الأخبار التونسية، تق وتح: محمد الحبيب الهيلة، ط1،ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، (د س ن).

19- التجاني أبو محمد عبد الله: رحلة التجاني، تونس طرابلس (706هـ 708هـ) تق : حسن حسني عبد الوهاب،(د ط)، (د ج)، الدار العربية للكتاب، تونس،1981م.

20- حاجى خليفة: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون،(د ط)، ج1، دار الفكر، 1982م.

21- الحفناوي: تعريف الخلف برجال السلف، ط1، (د ج)، مؤسسة الرسالة ، بيروت لبنان، 1985م.

22- الحموي ياقوت: معجم البلدان، (مج1 . مج2)، دار صادر، بيروت،(د س ن).

23- الحميري محمد بن عبد المنعم: الروض المعطار في خير الأقطار، تـــح: إحـــسان عباس، ط2،(د ج) مكتبة لبنان، لبنان، 1984م.

24- الدباغ أبو بوزيد عبد الرحمن: معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، تـــع: أبـــو الفضل أبو القاسم ناجي التنوخي، (د ط)،(د ج)، (د د ن)، (د ب ن)، (د س ن).

25- الزركشي أبو عبد الله محمد: تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تح وتع: محمـــد ماضور، (د ط)،(د ج) المكتبة العتيقة، تونس، (د س ن).

26- السخاوي: الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ، (د ط)، (دج)، دار الكتـــاب العربـــي، بيروت 1979م.

27- العبدري محمد البلنسي: الرحلة المغربية، تح: أحمد بن جدو، (د ط)، (د ج)، مطبعة البعث، قسنطينة، (د س ن).

28- الغبرينى أبو العباس: عنوان الدراية فيمن عرف من علماء المائة السابعة في بجاية تح: رابح بونار، ط2، (د ج)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،1981م.

29- الغزالي أبو حامد: إحياء علوم الدين،(د ط)،ج2، المكتبة التجارية الكبرى، مـــصر، (د س ن).

30- القرافي بدر الدين: توشيح الديباج وحلية الابتهاج، تح وتق:أحمـــد الـــشتيوي، ط1، (دج)، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، 1989م.

31- القشيري أبو القاسم : الرسالة القشيرية في علم التصوف، شر:شيخ الإسلام زكرياء الأنصاري،(د ط)،(د ج)، دار الكتاب العربي ،بيروت لبنان، (دس ن).

32- القلصادي أبو الحسن علي: رحلة القلصادي، تح: محمد أبو الأجفـــان،(د ط)،(د ج)، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1985م.

33- القلقشندي أبو العباس: صبح الأعشى،(د ط)،ج5،المطبعة الأميرية ،القاهرة،1915م.

34- الكلاباذي: التعرف بمذهب أهل التصوف، ضب وتع:أحمد شـــمس الـــدين،(د ط)، (د ج)، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان،2001م.

35- كربخال مرمول: إفريقيا، تر:عمد حجي، (د ط)،(د ج)، مكتبة المعارف، (د ب ن)، 1984م.

36- المقري: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها ابن الخطيب، تح: إحسان عباس،(د ط)، ج2، دار صادر، بيروت، 1988م.

37- المقريزي تقي الدين: درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة، تح:محمد الجليلي،ط1،ج3، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان،2002م.

38- الوزان الحسن: وصف افريقية، تر: محمد حجي ومحمد الأخضر ،ط2 ،ج2، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان،1983م.

39- اليغمري بن فرحون: الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب،(د ط)، (د ج)، بيروت لبنان، (دس ن).

ج - المراجع :

40- ابن الذيب عيسى: الحواضر والمراكز الثقافية في الجزائر خلال العصر الوسيط، (د ط)، (د ج)، دار القصبة للنشر، الجزائر،2007م.

41- ابن شقرون محمد: مظاهر الثقافة المغربية (دراسة في الأدب المغربي في العصر المريني)، (د ط)،(د ج)، الدار البيضاء المغرب ،1985م.

42- ابن عاشور محمد الفاضل: ومضات فكر،(د ط)،(د ج)، الدار المغربية للكتاب، تونس ،1982م.

43 - ابن عامر أحمد: الدولة الحفصية صفحات خالدة من تاريخها المجيد، (د ط)، (د ج)، دار الكتب الشرقية، (دس ن).

44 - بديوي يوسف علي: عصر الدويلات الإسلامية في المغرب والمشرق من الميلاد إلى السقوط ،ط1، (د ج)، دار الأصالة، الجزائر، 2010م.

45 - بيعزيق صالح: بجاية في العهد الحفصي (دراسة اقتصادية واجتماعية)،(د ط) (د ج)، منشورات كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية،تونس،2006م.

46- بهلول إبراهيم: الآلات الموسيقية التقليدية في الجزائر، (د ط)،(د ج)، الديوان الوطني للثقافة والإعلام، الجزائر، 2004م.

47 - بورويبة رشيد : الدولة الحمادية تاريخها وحضارتها،(د ط)،(د ج)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،1977م.

48 - بوعزيز يحي: موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب، (د ط)،ج1،دار الهدى، الجزائر،2004م.

49- ــــــــــــــــ:الموجز في تاريخ الجزائر القديمة والوسيطة، ط2،ج1، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر ،2009م.

50 – بونابي الطاهر: التصوف في الجزائر خلال القرنين 6و7 الهجريين و 12و13 الميلاديين، (د ط)، (د ج)، دار الهدى للطباعة و النشر و التوزيع، الجزائر، 2004م.

51- الجيلالي عبد الرحمان: تاريخ الجزائر العام ،(د ط)،ج2، دار الأمة ،الجزائر،2009م.

52 - الحداد الطاهر:التعليم الإسلامي وحركة الإصلاح بجامع الزيتونة ،تق وتح: محمد أنور بوسنينة، (د ط)،(د ج)، الدار التونسية، تونس،1981م.

53- حساني مختار: موسوعة تاريخ وثقافة المدن الجزائرية، (د ط)،(د ج)، دار القصبة، الجزائر،2007م.

54- حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي، الديني، الثقافي والاجتماعي،(دط)،ج4، دار الجيل، لبنان،2009م.

55- حليم محمد البشير ومهني الهادي: تونس طبيعة وثقافة، تع:صلاح الدين بوجاه (د ط)، (د ج)، منشورات أوربيس، (دب ن)،2007م.

56- الخطيب محمد عجاج: الوجيز في علوم الحديث ونصوصه،(د ط)،(د ج)، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية،الجزائر،1989م.

57-خلاصي علي:القلاع والحصون في الجزائر،(دط)،(دج)،مطبعة الديوان،الجزائر، 2008م .

58- خلف بشير :فنون لغة الوجدان ،(دط)،(دج)،دار الهدى ،الجزائر ،2009م.

59- رياح إسحاق وأبو سويلم سليمان:الحضارة العربية الإسلامية في النظم والعلوم والفنون ،ط2، (د ج)، دار كنوز المعرفة العلمية، الأردن، 2010م.

60- زبيس سليمان مصطفى: آثـــار المغـــرب العربـــي،(د ط)،(د ج)،(د دن)،(دب ن)، (دس ن).

61- سالم عبد العزيز: تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، (د ط)،(د ج)،مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2008م.

62- سامعي إسماعيل: معـــالم الحـــضارة العربيـــة الإســـلامية ،(د ط)،(د ج)،ديـــوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2009م.

63- سليماني احمد :تاريخ المدن الجزائرية ،(دط)،(دج)،دار القصبة ،الجزائر ،2007م.

64- الشاطر خليفة وآخرون: تونس عبر التاريخ من العهد العربي الإسلامي إلى حركة الإصلاح ، (د ط) ،(د ج)، مطبعة سنباكت ، تونس، 2007م.

65- شريط عبد الله والميلي مبارك: مختـــصر تـــاريخ الجزائـــر الـــسياسي والثقـــافي والاجتماعي،(د ط)،(د ج)، المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر ،1985م.

66- الطمار محمد : الروابط الثقافية بـــين الجزائـــر والخـــارج، (د ط)،(د ج)، ديـــوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،2007م.

67- الصلابي علي محمد : صفحات مشرقة من التاريخ الإســـلامي ،ط1،ج2،دار ابـــن الجوزي، القاهرة مصر، 2007م.

68- عبد العزيز محمد عادل: الجذور الأندلسية في الثقافة المغربيـــة ،(د ط)،(د ج)،دار الغريب، القاهرة ،2006م.

69 -عبد الوهاب حسن حسني: خلاصة تاريخ تونس،(د ط)،(د ج)،الدار التونسية للنـــشر ،تونس،1983.

70- العيدروس محمد حسن: المغرب العربي في العصر الإســـلامي،(د ط)،(د ج)، دار الكتاب الحديث، القاهرة، 2006م.

32- غلاب عبد الكريم: قراءة جديدة في تاريخ المغرب العربي عصر الإمبراطوريـــة العهد التركي في تونس والجزائر ،ط1،ج2، دار الغـــرب الإســـلامي، بيـــروت لبنـــان، 2005م.

71- الغنيمي عبد الفتاح: موسوعة المغرب العربي، ط1،ج5،مكتبة مدبولي،القاهرة، 1966م.

72- الفاخوري حنا: تاريخ الأدب العربي في المغرب ،ط1،(د ج)،دار الأمانة ،الجزائر،1982.

73- لعرج عبد العزيز:مساهمة الجزائر في الحضارة العربية الإسلامية،(د ط)،(د ج)، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م، (دب ن)،2007م.

74- المطوي محمد العروسي :السلطنة الحفصية تاريخها السياسي ودورها في المغرب الإسلامي ،(د ط)،(د ج)،دار الغرب الإسلامي ، بيروت لبنان،1986م.

75- محفوظ محمد :تراجم المؤلفين التونسيين،ط1،ج1،دار الغرب الإسلامي ، بيروت لبنان،1982م.

76-منصور عبد الوهاب: إعلام المغرب العربي،(د ط)،ج3،(د د ن)،(د ب ن)،(دس ن).

77- مؤنس حسين: تاريخ المغرب وحضارته من قبيل الفتح الإسلامي إلى الغزو الفرنسي ،ط1،مج2، دار العصر الحديث للنشر، لبنان،1992م.

78- النجار فخري خليل:تاريخ الحضارة العربية الإسلامية،ط1،(د ج)،دار صفاء للنشر ،عمان،2010م.

د- المراجع المعربة:

79- برونشفيك روبار: تاريخ افريقية في العصر الحفصي من القرن 13م إلى نهاية القرن15م، تعر: حمادي الساحلي ،ط1،ج2،دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان،1988م.

80- بيل ألفرد: الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي حتى اليوم، تر:عبد الرحمان البدوي ،ط2،(د ج)،دار الغرب الإسلامي، بيروت،1981م.

81- جوليان شارل أندري: تاريخ إفريقيا الشمالية(تونس الجزائر المغرب الأقصى)،من الفتح الإسلامي إلى سنة 1830م،تعر: محمد مزالي وبشير بن سلامة ،(د ط)،ج2،الدار التونسية ،تونس،(د س ن).

82- الدولاتي عبد العزيز:مدينة تونس في العهد الحفصي، تعر: محمد الشابي وعبد العزيز الدولاتي، ط1،(د ج)، دار سراس للنشر،تونس، 1981م

83- الشريف محمد الهادي: تاريخ تونس من عصور ما قبل التاريخ إلى الاستقلال، تعر: حمد الشاوش ومحمد عجينة، ط3، (د ج)، دار سراس، تونس، 1993م.

هـ - الدوريات والمقالات:

84- أحمد طويلي: إبن قنفذ القسنطيني مؤرخا للحضارة الحفصية و مشاركا فيها، مجلة سيرتا، العدد 11، معهد العلوم الاجتماعية، قسنطينة، 1998م.

85- بن حمدة وسيلة بلعيد: المناهج و طرق التعليم لدى المربيين التونسيين، مجلة جامعة الزيتونة، العدد 3، تونس، 1994م.

86 – بن مامي محمد الباجي: التعليم بجامع الزيتونة و بمدارس العلم في العهد الحفصي، المعهد الوطني لتراث.

87 – البوعبدلي المهدي:تراجم بعض مشاهير علماء زواوة، مجلة الأصالة، العدد14، 1973م.

88 – عبد الحليم عويس: دولة بني حماد في الجزائر، مجلة الأصالة، العدد14، مطبعة البعث قسنطينة، الجزائر، 1973م.

و - الرسائل الجامعية:

89- عقبة السعيد: الحياة العلمية و الفكرية في بجاية خلال القرن السابع الهجري /13م، رسالة الماجستير، قسم التاريخ، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة،2009م.

فهرس الموضوعات

الفهرس

فهرس المحتويات **الصفحة**

شكر وعرفان .....
قائمة الاختصارات .....
مقدمة ..... أ - ج

مدخل تمهيدي : لمحة جغرافية وتاريخية عن الدولة الحفصية

1- لمحة جغرافية 2
أ- إطارها الطبيعي 2
ب- أصل الحفصيين ونسبهم 3
2- لمحة تاريخية..... 4
أ- قيام الدولة الحفصية (التأسيس)..... 6
ب- نظام الحكم 6

الفصل الأول: عوامل نمو الحركة الثقافية بالدولة الحفصية

1- عناية سلاطين الدولة الحفصية بالحركة الثقافية..... 10
2- المؤسسات التعليمية للدولة الحفصية..... 13
أ- المساجد..... 13
ب- المدارس..... 15
ج- الزوايا..... 17
د- المكتبات..... 19
3- الرحلات العلمية..... 21

الفصل الثاني: التعليم بالدولة الحفصية

1- أنواع التعليم ومراحله..... 27
أ- أنواع التعليم 27
ب- مراحل التعليم 30
2- طرق ومناهج التدريس..... 34
3- تعليم المرأة والإجازة العلمية..... 36
أ- تعليم المرأة..... 36
ب- الإجازة العلمية 37

الفصل الثالث : العلوم النقلية والعقلية بالدولة الحفصية

1- العلوم النقلية..... 41
أ- علوم القرآن والتفسير..... 41
ب- علم الفقه..... 42
ج- علم الحديث 44
2- العلوم اللسانية 46

أ- علوم اللغة العربية (علم النحو)..... 46
ب- النثر..... 48
ج- الشعر..... 49
3- التصوف والعلوم الاجتماعية 52
أ- التصوف 52
ب- علم التاريخ 53
4- العلوم العقلية والطبيعية..... 55
أ- الرياضيات 55
ب- علم الفلك 56
ج- علم المنطق..... 57
د- علم الطب والصيدلة..... 58

الفصل الرابع : الفنون والعمارة في عهد الدولة الحفصية

1- الفنون..... 62
أ- النقش والزخرفة..... 62
ب- الموسيقى والفن..... 64
2- العمارة الهندسية 66
أ- المساجد والأضرحة..... 66
ب- القصور و العمارة العسكرية 75
- القصور 75
- العمارة العسكرية 77
الخاتمة 81
الملاحق 85
قائمة المصادر والمراجع 109